



نور اليقين في سيرة سيد المرسلين

لمؤلفه

محمد الخضرى "بك"

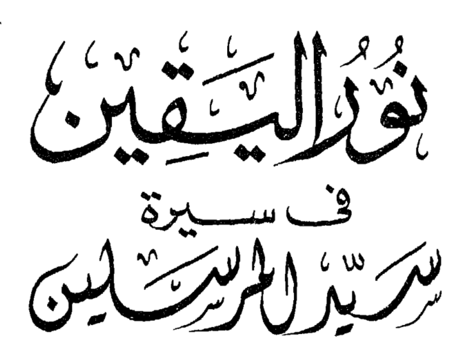
الجزء الثانى

إعداد

رئيس التحرير

د. على أحمد الخطيب

هدية مجلة الأزهر المجانية - ربيع الآخر ١٤١٢هـ



لمؤلفه

محمد الخضرى "بك"

الجزء الثانى

إعداد

رئيس التحرير

د. على أحمد الخطيب

هدية مجلة الأزهر المجانية - ربيع الآخر ١٤١٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

هجرة المصطفى

صلى الله عليه وسلم

فتوجه من ساعته إلى صديقه أبى بكر ، وأعلمه أن الله قد أَذِنَ له فى الهجرة ، فسأله ابو بكر ، الصحبة ، فقال : نعم ، ثم عرض عليه إحدى راحلتيه اللتين كانتا معدتين لذلك فجهزهما أحسن الجهاز ، وصنعت لهما سفرة فى جراب ، فقطعت أسماء بنت أبى بكر نطاقها ، وربطت به على فم الجراب ، واستأجرا عبدالله بن أرقط من بَنى الديل بن بكر ، وكان هاديا ماهراً وهو على دين كفار قريش فأمناه ، ودفعا إليه راحلتيهما ، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال ، ثم فارق الرسول ـ عليه السلام ـ ابا بكر وواعده المقابلة ليلا خارج مكة وكانت هذه الليلة هى ليلة استعداد قريش لتنفيذ ما أقروا عليه ، فاجتمعوا حول باب الدار ، ورسول الله داخله فلما جاء ميعاد الخروج أمر ابن عمه علياً بالمبيت مكانه كي لا يقع الشك فى وجوده أثناء الليل ؛ فانهم كانوا يرددون النظر من شقوق الباب ليعلموا وجوده ثم سجى علياً ببردته وخرج على القوم وهو يقرا : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ فألقى الله النوم عليهم حتى لم يره أحد ، ولم يزل ـ عليه الصلاة والسلام ـ سائراً حتى تقابل مع الصِّدِّيق ، وسارا حتى بلغا غار ثور ، فاختفيا فيه .

أما المشركون فلما علموا بفساد مكرهم ، وأنهم إنما باتوا يحرسون عليّ بن أبى طالب لا محمد بن عبدالله هاجت عواطفهم فأرسلوا الطلب من كل جهة وجعلوا الجوائز لمن يأتى بمحمد أو يدل عليه وقد وصلوا فى طلبهم إلى ذلك الغار الذى فيه طلبتهم بحيث لو نظر أحدهم تحت قدميه لنظرهما حتى ابكى ذلك أبا بكر ، فقال له ـ عليه الصلاة والسلام : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ فأعمى الله ابصار المشركين حتى لم يحن لأحد منهم التفاتة إلى ذلك الغار ، بل صار أعدى الأعداء : أمية بن خلف يبعد لهم اختفاء المطلوبين فى مثل هذا الغار ، فأقاما فيه ثلاث ليال حتى ينقطع الطلب .

وكان يبيت عندهما : عبدالله بن أبى بكر ـ وهو شاب ثقف[1] لقن ـ فيدلج[2] من عندهما بسحر ، فيصبح مع قريش بمكة كبائت بها فلا يسمع أمراً يكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام .

وكان عامر بن فهيرة يروح عليهما بقطعة من غنم يرعاها حين تذهب ساعة من العشاء ويغدو بها عليهما فإذا خرج من عندهما عبدالله تبع أثره عامر بالغنم كيلا يظهر لقدميه أثر .

ولما انقطع الطلب خرجا ـ بعد أن جاءهما الدليل بالراحلتين صبح ثلاث ـ وسارا متبعين طريق الساحل .

وفى الطريق لحقهم طالبا (سراقة بن مالك المدلجى) وكان قد رأى رسل مشركي قريش يجعلون فى رسول الله وابى بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره ، فبينما هو فى مجلس من

---

(١) معنى الاسمين نبيه فطن .

(٢) يسير آخر الليل .

مجالس قومه بنى مدلج إذ أقبل رجل منهم حتى قام عليهم وهم جلوس فقال : ياسراقة إنى رأيت آنفا أسودة[1] بالساحل ، أراها محمداً وأصحابه ، فعرف سراقة أنهم هم ، ولكنه أراد أن يثنى عزم مخبره عن طلبهم فقال : إنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا يبتغون ضالة لهم ، ثم لبث فى المجلس ساعة ، وقام وركب فرسه ، ثم سار حتى دنا من الرسول ومن معه ،فعثرت به فرسه فخر عنها ثم ركبها ثانياً وسار حتى صار يسمع قراءة المصطفى وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات فساخت قائمتا فرس سراقة فى الأرض حتى بلغتا الركبتين فخر عنها ، ثم زجرها حتى نهضت ، فلم تكد تخرج يديها حتى سطع لأثرهما غبار ساطع فى السماء مثل الدخان ، فعلم سراقة أن عمله ضائع سدى ، وداخله رعب عظيم فناداهما بالأمان ، فوقف ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومن معه حتى جاءهم . ويقول سراقة : وقع فى نفسى حين لقيت مالقيت أن سيظهر أمر رسول الله فقلت إن قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرهم بما يريد بهم الناس وعرض عليهم الزاد والمتاع فلم يأخذا منه شيئاً ، بل قالا له : أخف عنا ، فسأله سراقة أن يكتب له كتاب أمن فأمر أبا بكر فكتب ، وبذلك انقضت هذه المشكلة التى أظهر الله فيها مزيد عنايته برسوله ، وكان أهل المدينة حينما سمعوا بخروج رسول الله وقدومه عليهم يخرجون إلى الحرة[2] حتى يردهم حر

---

(١) جمع سواد .

(٢) هى الأرض ذات الحجارة السود وكانت المدينة محاطة بجملة حرات .

الظهيرة ، فانقلبوا يوما بعد أن أطالوا انتظارهم فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم[1] من آطامهم لأمر ينظر إليه فبصر برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه يزول بهم السراب يظهرهم تارة ويخفيهم أخرى ، فقال اليهودى ـ بأعلى صوته : يامعشر العرب هذا جَدُّكُمْ أى حظكم الذى تنتظرون فثاروا إلى السلاح فتلقوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بظهر الحرة .

(النزول بقباء)[2]

فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم فى (بنى عمرو بن عوف) بـ « قباء » ، والذى حققه المرحوم محمود باشا الفلكى أن ذلك كان فى اليوم الثاني من ربيع الأول الذى يوافق ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ م ، وهذا أول تاريخ جديد[3] لظهور الإسلام بعد أن مضى عليه ثلاث عشرة سنة ، وهو مضيق عليه من مشركي قريش ، ورسول الله ممنوع من الجهر بعبادة ربه أما الآن فقد آواه الله هو وصحابته رضوان الله عليهم بعد أن كانوا قليلا يتخطفهم الناس .

---

(١) تل .

(٢) مسجد .

(٣) لما أراد المسلمون فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وضع التاريخ جعلوا مبدأه من هذه الهجرة الشريفة ولعدم المخالفة بين مبدأ الهجرة وبدء السنة الهلالية قدموا ميعاد الهجرة شهرين وأياما وجعلوا بدء الهجرة من محرم سنتها .

هجرة الأنبياء

وبهذه الهجرة تمت لرسولنا ـ صلى الله عليه وسلم ـ سنة إخوانه من الانبياء من قبله ، فما من نبي منهم ، إلا نبت[1] به بلاد نشأته فهاجر عنها ، من (إبراهيم) أبى الانبياء وخليل الله إلى (عيسى) كلمة الله وروحه ، كلهم على عظيم درجاتهم ، ورفعة مقامهم أهينوا من عشائرهم فصبروا ليكونوا مثالا لمن يأتى بعدهم من متبعيهم فى الثبات والصبر على المكاره مادام ذلك فى طاعة الله ، فسل مصر وتاريخها تنبئك عن إسرائيل (يعقوب) وبنيه انهم هاجروا إليها حينما رأوا من بنيها ترحيباً بهم وتركهم وما يعبدون إكراما ليوسف وحكمته . ولما مضت سنون نسى فيها المصريون تدبير يوسف وفضله عليهم فاضطهدوا بنى إسرائيل وآذوهم خرج بهم موسى وهارون ليتمكنوا من إعطاء الله حقه فى عبادته . وهرب[2] المسيح عليه السلام من اليهود حينما كذبوه فأرادوا الفتك به حتى كان من ضمن تعاليمه لتلاميذه (طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات) ثم قال بعد (افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم فى السموات فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم) .

وسل القرى التى حلت بها نقمة الله لكفر أهلها « ديار »

---

(١) نبت : العدت .

(٢) اولى من هذه العبارة : (وخرج) أو (وهاجر) وإنما ذلك بإذنه تعالى .

(لوط) و (عاد) و (ثمود) تنبئك عن مهاجرة الأنبياء منها قبل حلول النقمة فلا غرابة أن هاجر (عليه الصلاة والسلام) من بلاد منعه أهلها من تتميم ما أراده الله (سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً)[1] .

(أعمال مكة)

هذا ولنبين لك مجمل مادعا إليه الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بمكة من أصول الدين ، وذلك أمران .

الأول : الاعتقاد بوحدانية الله ، وأن لا يشرك معه فى العبادة غيره ، سواء كان ذلك الغير صنما كما يفعل مشركو مكة أو أبا أو زوجة أو بنتاً كما عليه بعض الطوائف الأخرى كالنصارى ، ولولا الاعتقاد بوحدانية الله ما كلف أحد نفسه تكاليف الحياة من آداب الأخلاق ؛ بل كان يسير فيما تأمره به نفسه من شهواتها وملذاتها مادام ذلك خافياً عن الناس .

الثانى : الاعتقاد بالبعث والنشور ، وأن هناك يوما ثانياً للإنسان يجازى فيه على ما صنعه فى الدنيا إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، وعلى هذين الأمرين جاء غالب الآى المكية ، فقلما ترى سورة من سور مكة إلا مشحونة بالاستدلال عليهما وتوبيخ من تركهما . وكل ذلك بأساليب تأخذ بالعقل ، وبراهين لا تحتاج لفلسفة الذين يشغلون أنفسهم بما لا طائل تحته مما يضيع الوقت سدى ، ونزل على رسول الله ـ صلى

---

(١) الأحزاب ٦٢ .

الله عليه وسلم ـ بمكة من القرآن معظمه ، وهو ما عدا اثنتين وعشرين سورة منه ، وهى :

البقرة . آل عمران . النساء . المائدة . الأنفال . التوبة . الحج . المؤمنون . الأحزاب . القتال[1] . الفتح . الحجرات . الحديد . المجادلة . الحشر . الممتحنة . الصف . الجمعة . المنافقون . التغابن . الطلاق . التحريم .

هذه كلها مدنية وباقى القرآن مكى .

ولما نزل ـ عليه الصلاة والسلام ـ بقباء نزل على شيخ بني عمرو : (كلثوم ابن الهدم) وكان يجلس للناس ، ويتحدث لهم فى بيت (سعد بن خيثمة) لأنه كان عزبا ، ونزل أبو بكر السنح (محلة بالمدينة) على خارجة بن زيد من بنى الحارث من الخزرج .

(مسجد قباء)

وأقام رسول الله بـ « قباء » ليالى أسس فيها مسجد قباء الذى وصفه الله بأنه مسجد ﴿ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ وصلى فيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بمن معه من الأنصار والمهاجرين ، وهم آمنون مطمئنون ، وكانت المساجد على عهد رسول الله فى غاية من البساطة ليس فيها شىء مما اعتاده بناة المساجد فى القرون الأخيرة ، لأن الرسول وأصحابه لم يكن جل همهم إلا منصرفا لتزيين القلوب

---

(١) وتسمى ـ ايضاً : (محمد) صلى الله عليه وسلم .

وتنظيفها من حظ الشيطان ، فكان سور المسجد لا يتجاوز القامة وفوقه مظلة يتقى بها حر الشمس .

(الوصول إلى المدينة)

(ثم) تحول ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى المدينة ، والأنصار محيطون به متقلدى سيوفهم ، وهنا حدث ولا حرج عن سرور أهل المدينة فكان يوم تحوله إليهم يوما سعيداً لم يروا فرحين بشيء فرحهم برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وخرج النساء والصبيان والولائد[1] يقلن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

وكان الناس يسيرون وراء رسول الله ما بين ماش وراكب يتنازعون زمام ناقته ، كل يريد أن يكون نزيله .

(أول جمعة)

وأدركته ـ عليه الصلاة والسلام ـ صلاة الجمعة فى (بنى سالم بن عوف) فنزل وصلاها ، وهذه أول جمعة له ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأول خطبة خطبها ـ عليه الصلاة والسلام .

---

(١) جمع وليدة .

اول خطبة جمعة :

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ، فقدموا لأنفسكم تعلمن ـ والله ـ ليصعقن احدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ألم يأتك رسولى فبلغك ، وآتيتك مالا ، وأفضلت عليك ؛ فما قدمت لنفسك فلينظرن يميناً وشمالا فلا يرى شيئاً ، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم ؛ فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ـ ولو بشق تمرة ـ فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فإنها تجزى الحسنة عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(النزول على أبى أيوب)

ثم ساروا وكلما مروا على دار من دور الأنصار يتضرع إليه أهلها بأن ينزل عندهم ويأخذون بزمام الناقة ، فيقول : دعوها فإنها مأمورة ، ولم تزل سائرة حتى أتت بفناء (بنى عدى بن النجار) وهم أخواله الذين تزوج منهم (هاشم) جده ، فبركت بمحلة من محلاتهم أمام دار (أبى أيوب الأنصارى) واسمه : خالد بن زيد[1] وذلك محل مسجده الشريف فقال ـ عليه الصلاة والسلام : ههنا المنزل إن شاء الله ، ﴿ رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾[2] فاحتمل ابو ايوب

---

(١) توفى زمن معاوية فى حصار القسطنطينية ودفن هناك خارج المدينة .

(٢) المؤمنون ـ ٢٩ .

رحله ووضعه فى منزله ، وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام ناقته فكانت عنده ، وخرجت ولائد بنى النجار يقلن :

نحن جوارٍ من بنى النجار   ياحبذا محمد من جار

فقال ـ عليه الصلاة والسلام : أتحببننى ؟ فقلن : نعم ، فقال : الله يعلم أن قلبى يحبكن .

واختار ـ عليه الصلاة والسلام ـ النزول فى الدور الأسفل من دار أبى أيوب ليكون أريح لزائريه ، ولكن لم يرض ـ رضى الله عنه ـ ذلك كرامة لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما يمكن أن يصيبه من التراب الذي يحدثه وطء الأقدام أو الماء الذى يهراق ، فقد اتفق أن كسرت من زوجته جرة ماء بالليل فقام هو وهى بقطيفتهما التى ليس لهما غيرها يمسحان الماء خوفا على رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولذلك لم يزل أبو أيوب يستعطفه حتى كان فى العلو ، وكانت تأتيه الجفان كل ليلة من سراة الأنصار كسعد بن عبادة وأسعد بن زرارة وأم زيد بن ثابت فما من ليلة إلا وعلى بابه الثلاث أو الأربع من جفان[1] الثريد .

(نزول المهاجرين)

ولما تحول مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أغلب المهاجرين تنافس فيهم الأنصار ، فحكموا القرعة بينهم فما نزل مهاجرىٌّ على أنصارىٍّ إلا بقرعة .

---

(١) جفان جمع جفنة وهى قصعة الثريد .

(أخوة الاسلام)

ومن يتأمل إلى هذه المحبة التى يستحيل أن تكون بتأثير بشر ، بل بفضل من الله ورحمته يفهم كيف انتصر هؤلاء الأقوام على معانديهم من المشركين ، وأهل الكتاب مع قلة العَدَدِ والعُدَدَ .

وكان الأنصار يؤثرون إخوانهم المهاجرين على أنفسهم ، قال ـ تعالى ـ فى سورة الحشر : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1] وهذا أعلى درجات الأخوة وكل ذلك كانوا يرونه قليلا بالنسبة لما وجب عليهم لإخوانهم ؛ فإن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليمكن بينهم الإخاء : آخى بين المهاجرين والأنصار ، فكان كل أنصارى ونزيله أخوين فى الله ، ومن العبث أن نكلف القلم أن يوضح للقارىء أن هذه الأخوة كانت أرقى بكثير من الأخوة العصبية ؛ بل نَكِلُ ذلك للإحساس الإسلامى ؛ فإنه أفصحُ منطقا من القلم ، وعلى الإجمال فتلك قلوب ألف الله بينها حتى صارت شيئاً واحداً فى أجسام متفرقة ، وعسى الله أن يوفق مسلمى عصرنا إلى هذا الإخاء حتى يَسُودُوا كما ساد المتحدون . وكان هذا الإخاء على المواساة والحق وأن يتوارثوا بعد الموت دون ذوى الأرحام

---

(١) الحشر ـ ٩ .

وكان عليه الصلاة والسلام يقول لكل اثنين : (تآخيا فى الله اخوين اخوين) ودام هذا الميراث إلى أن نسخه الله بقوله فى سورة الأحزاب : ﴿ وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾[1] .

(هجرة أهل البيت)

ولما استقر عليه الصلاة والسلام بالمدينة أرسل (زيد بن حارثة) و(أبا رافع) إلى مكة ليأتيا بمن تخلف من أهله ، وارسل معهما (عبد الله بن أريقط يدلهما على الطريق فقدما بـ (فاطمة) و(أم كلثوم) بنتيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ و(سودة) زوجه و(أم ايمن) زوج (زيد) وابنها (اسامة) . أما (زينب) فمنعها زوجها (ابو العاص بن الربيع)[2] وخرج مع الجميع (عبد الله بن أبى بكر) بـ (ام رومان) زوج أبيه و(عائشة) اخته و(أسماء) زوج (الزبير بن العوام) وكانت حاملا بابنها (عبد الله) وهو أول مولود للمهاجرين بالمدينة .

(حمى المدينة)

ولم يكن هواء المدينة فى البدء موافقا للمهاجرين من أهل مكة فأصاب كثيرا منهم الحمى ، وكان رسول الله ـ صلى الله

---

(١) آخر الانفال ، والاحزاب ـ ٦ .

(٢) أسلم فيما بعد ـ رضى الله عنه .

عليه وسلم ـ يعودهم ، فلما شكوا إليه الأمر قال : اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة وأشد ، وبارك لنا فى مدها وفى صاعها ، وانقل وباءها إلى الجحفة[1] فاستجاب الله ـ جل وعلا ـ دعوته ، وعاش المهاجرون فى المدينة بسلام .

(منع المستضعفين من الهجرة)

ومنع مشركو مكة بعضا من المسلمين عن الهجرة وحبسوهم وعذبوهم منهم : (الوليد بن الوليد) و(عياش بن ربيعة) و(هشام بن العاص) فكان عليه الصلاة والسلام يدعو لهم فى صلاته ، وهذا أصل القنوت ، وقد حصل فى أوقات مختلفة ومحال[2] فى الصلاة مختلفة ، فكان فى وتر العشاء وصلاة الصبح بعد الركوع وقبله فروى كل صحابى ما رآه وهذا سبب اختلاف الأئمة فى مكان القنوت .

(السنة الأولى ـ بناء المسجد)

ثم شرع عليه الصلاة والسلام فى بناء مسجده فى مَبْرَكِ ناقته أمام محلة (بنى النجار) وكان محله مِرْبَداً[3] للتمر يملكه غلامان يتيمان فى حجر أسعد بن زرارة ، فدعا الغلامين وساومهما المربد ليتخذه مسجداً ، فقالا : بل نهبه لك يارسول

---

(١) قرية على اثنين وثمانين ميلا من مكة وهى ميقات أهل الشام .

(٢) أى مواضع فى الصلاة .

(٣) موضع لوضع المحصول من التمر .

الله ، فأبى - عليه الصلاة والسلام - أن يقبله منهما هبة ، بل ابتاعه منهما ، وكان فيه قبور للمشركين وبعض حفر ونخل فأمر بالقبور فنبشت ، وبالحفر فسويت ، وبالنخل فقطع ، ثم أمر باتخاذ اللبن فاتخذ ، وشرعوا فى البناء به وجعلوا عضادتى الباب من الحجارة ، وسقفوه بالجريد ، وجعلت عُمُدَه من جذوع النخل ، ولا يزيد ارتفاعه عن القامة إلا قليلا وقد عَمِل فيه رسول الله بنفسه ليرغب المسلمين فى العمل وصاروا يرتجزون وهو يقول معهم :

اللهم لا خير إلا خير الآخرة   فارحم الأنصار والمهاجرة .

وجعلت قبلة المسجد فى شماله إلى بيت المقدس وجعل له ثلاثة أبواب ، ثم حُصبت أرضه لأن المطر كان قد أثر فيه فأمر - عليه الصلاة والسلام - بحصبه ، ولم يزين المسجد بفرش حتى ولا بالحصر[٢] ، وبُنِى - بجانبه حجرتان : إحداهما لسودة بنت زمعة ، والأخرى لعائشة ، ولم يكن - عليه الصلاة والسلام - متزوجا غيرهما إذ ذاك ، وكانت الحجرتان مجاورتين وملاصقتين للمسجد على شكل بنائه وصارت الحجرات تبنى كلما جاءت زوج .

(بدء الأذان)

أوجب الله الصلاة على المسلمين ليكونوا دائما متذكرين عظمة العلى الأعلى ، فيتبعون أوامره ويجتنبون نواهيه ،

---

(١) يقولون الشعر من بحر الرجز وأجزاؤه : مستفعلن مستفعلن مستفعلن .

(٢) جمع حصير .

ولذلك قال ـ فى محكم كتابه فى سورة العنكبوت : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾[1] وجعل أفضل الصلاة ما كان جماعة ليذاكر المسلمون بعضهم بعضاً فى شئونهم واحتياجاتهم ويقووا روابط الألفة والاتحاد بينهم ، ومتى حان وقت الصلاة فلابدَ من عمل ينبه الغافل ويذكر الساهى حتى يكون الاجتماع عاما فأتمر النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع الصحابة فيما يفعل لذلك .

فقال بعضهم : نرفع راية إذا حان وقت الصلاة ليراها الناس فلم يرتضوا ذلك لأنها لا تفيد النائم ولا الغافل .

وقال آخرون : نشعل نارا على مرتفع من الهضاب فلم يقبل أيضاً .

وأشار آخرون ببوق وهو ما كانت اليهود تستعمله لصلواتهم فكرهه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأنه لم يكن يحب تقليد اليهود فى عمل ما .

وأشار بعضهم بالناقوس وهو ما يستعمله النصارى فكرهه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أيضا .

وأشار بعضهم بالنداء فيقوم بعض الناس ـ إذا حانت الصلاة ـ وينادى بها فقبل هذا الرأى ، وكان أحد المنادين (عبد الله بن زيد الأنصارى) فبينما هو بين النائم واليقظان إذ عرض له شخص وقال : ألا أعلمك كلمات تقولها عند النداء بالصلاة ؟ قال : بلى ، فقال له قل .

الله أكبر الله أكبر مرتين ، وتشهد مرتين ، ثم قل : حى

---

(١) العنكبوت ٤٥

على الصلاة مرتين ، ثم حى على الفلاح مرتين ، ثم كبر ربك مرتين ، ثم قل : لا إله إلا الله .

فلما استيقظ توجه إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - واخبره خبر رؤياه . فقال : إنها لرؤيا حق ، ثم قال له : لقن ذلك بلالاً فإنه أندى صوتا منك ، وبينما بلال يؤذن إذ جاء عمر يجر رداءه فقال : والله لقد رأيت مثله يارسول الله . وكان (بلال) أحد مؤذنيه بالمدينة ، والآخر : (عبد الله بن أم مكتوم) وكان (بلال) يقول - فى أذان الصبح ، بعد حى على الفلاح : « الصلاة خير من النوم » مرتين وأقره الرسول على ذلك ، وكان - عليه الصلاة والسلام - يأمر فى فجر رمضان بأذانين :

أولهما يُوقَظُ به الغافلون حتى ينتبهوا للسحور .
والثانى : للصلاة .

أما الأذان للجمعة فكان أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول الله - ﷺ - وأبى بكر وعمر ، فلما كان عثمان ، وكثر الناس ، زاد نداء آخر على (الزوراء) رواه البخارى ولما تولى (هشام بن عبد الملك) أخذ الأذان الذى زاده عثمان بالزوراء وجعله على المنار ، ثم نقل الأذان الذى كان على المنار حين صعود الإمام على المنبر فى العهد الأول بين يديه .

فعلم بذلك أن الأذان فى المسجد بين يدى الخطيب بدعة أحدثها هشام بن عبد الملك ولا معنى لهذا الأذان ؛ لأنه إنما

هو نداء إلى الصلاة ، ومن هو فى المسجد لا معنى لندائه ، ومن هو خارج المسجد لا يسمع النداء إذا كان النداء فى المسجد ، ذكر ذلك الشيخ (محمد بن الحاج) فى المدخل .

قال الحافظ فى فتح البارى : وأما ماأحدث الناس ـ قبل الجمعة ـ من الدعاء إليها بالذكر ، والصلاة على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو فى بعض البلاد دون بعض ، واتباع السلف الصالح أولى أ هـ .

فعلم من ذلك كله أن سنة رسول الله ـ ﷺ ـ فى أذان الجمعة أنه كان إذا جلس على المنبر أذن مؤذنه على المنار فإذا انتهت الخطبة اقيمت الصلاة وما عدا ذلك فكله ابتداع .

أما الإقامة وهى الدعوة للصلاة فى المسجد فقد اختلفت الروايات فى نصها فرواها (محمد بن إدريس الشافعى) مفردة إلا لفظ (قد قامت الصلاة) فمثنى ، ورواها (مالك ابن أنس) مفردة كلها ، ورواها (أبو حنيفة النعمان) مثنى كلها .

(يهود المدينة)

(هذا) وكما ابتلى الله المسلمين فى مكة بمشركى قريش ابتلاهم فى المدينة بيهودها ، وهم : بنو قينقاع وقريظة والنضير ، فإنهم أظهروا العداوة والبغضاء حسداً من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم أنه الحق ، وكانوا ـ قبل مجيء الرسول ـ يستفتحون[1] على المشركين من العرب ـ إذا شبت

---

(١) يستنصرون .

الحرب بين الفريقين ـ بنبى يبعث قد قرب زمانه ، فلما جاءهم ما عرفوا استعظم رؤساؤهم أن تكون النبوة فى ولد إسماعيل فكفروا بما انزل الله بغيا مع أنهم يرون أن رسول الله محمداً لم يأت إلا مصدقا لما بين يديه من كتب الله التى أنزلها على من سبقه من المرسلين ، مبينا ما افسده التأويل منها ، ولكنهم نبذوه وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون .

ومما عابوه على الإسلام نسخ(*) الأحكام ومادَرَوْا أن القادر العليم يعلم ما يحتاجهُ الإنسان أكثر[1] منهم ، فإنه ميال بطبعه للترقى ، والرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وجد بادىء بدء بين جماعة من العرب أميين ليسوا على شىء من الاعتقادات الإلهية[2] ؛ فكانت الحكمة داعية لأن يكون التشريع لهم على التدريج ، لأنه لو حرم الله عليهم شرب الخمر وأكل الربا وأمرهم بالصلاة والزكاة وهكذا إلى آخر

(*) لجأ اليهود إلى قضية « النسخ » ليثيروا الشكوك حول الإسلام .

وما النسخ ـ فى حقيقته ـ إلا تطور فى التشريع يعالج طاقة الإنسان وحاجته وصلاح أمره ، وهو لهذا موجود فى شرائع ما قبل الإسلام حتى فى التوراة نفسها انظر ما كتبه الحبر « شموئيل بن يهوذا بن ايوب » وهو ككثير من المتخصصين يحمل اسما عربيا هو السموأل بن يحيى بن عباس ـ فى كتابه « بذل المجهود فى إفحام اليهود » صفحة ٢ بعنوان : « النسخ من نص كتابهم وما تقتضيه اصولهم » طبع مطبعة الشرق الإسلامية .

وقد أسلم هذا الحبر .. رحمه الله . .. الخطيب

(١) لا نسبة مطلقا بين علم الإنسان إلى علم الله ، فالله تعالى ـ محيط بكل شىء ثم هو خالق كل شىء .

(٢) أى الصحيحة .

الأوامر والمناهى التى جاء بها الشرع الإسلامى لما أجابه أحد من هؤلاء النافرة قلوبهم ، المختلفة أهواؤهم الذين كانوا منغمسين فى كثير من الأضاليل فجاءهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالأمر شيئا فشيئا حتى روضت عقولهم ، وهذبت نفوسهم وكانت الأحكام لا ينزلها الله عليه إلا عقب الحوادث التى تقتضيها ليكون التأثير فى النفوس أشد ، ولكن اليهود أرادوا غل يد القدرة عن أن تفعل إلا ما يشتهون ، وقد حجهم[1] القرآن الشريف بما يدل على أنهم يعلمون من نفوسهم البعد عن الحق فقال ـ فى سورة البقرة : ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[2] ثم ختم ـ جل ذكره ـ عدم إجابتهم بقوله : ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾[3] فلو كانوا يعلمون من أنفسهم أنهم على الحق لما تأخروا عما طلب منهم مع سهولته وحرصهم على تكذيب الصادق الأمين ، ولم ينقل لنا عن أحد منهم أنه تمنى ذلك ولو نطقا باللسان ، وقد تبين الهدى لأحد رؤساء بنى قينقاع ، وهو (عبد الله بن سلام ـ رضى الله عنه ـ فترك هواه وأسلم بعد أن سمع القرآن ، وبعد أن كان اليهود يعدونه من رؤسائهم عدوه من سفهائهم حينما بلغهم إسلامه فيا بئس ما اشتروا لأنفسهم ، ولما استحكمت فى قلوبهم

---

(١) اقام عليهم الحجة .
(٢)،(٣) البقرة ـ ٩٤ ، ٩٥

عداوة الإسلام صاروا يجهدون أنفسهم فى إطفاء نوره : ﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[1] .

(المنافقــون)

وكان يساعدهم على مقاصدهم جماعة من عرب المدينة أعمى الله بصائرهم فأخفوا كفرهم خوفا على حياتهم ، وكان يراس هذه الجماعة (عبد الله بن أبى بن سلول الخزرجى) الذى كان مرشحاً لرياسة أهل المدينة قبل هجرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولاشك أن ضرر المنافقين أشد على المسلمين من ضرر الكفار ؛ لأن أولئك يدخلون بين المسلمين فيعلمون أسرارهم ، ويشيعونها بين الأعداء من اليهود وغيرهم كما حصل ذلك مراراً . والأساس الذى كان عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يقبل ما ظهر ويترك لله ما بطن ، ولكنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع ذلك كان لا يأمنهم فى عمل ما ؛ فكثيراً ما كان يتغيب عن المدينة ، ويولى عليها بعض الأنصار ، ولكن لم يعهد انه وَلَّى رجلا ممن عهد عليه النفاق ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام يعلم ما يكون منهم لو وُلُّوا عملا فإنهم ـ بلا شك ـ يتخذون ذلك فرصة لإضرار المسلمين ، وهذا درس مهم لرؤساء الإسلام يعلمهم أنهم لا يثقون فى الأعمال المهمة إلا بمن لم تَظْهر عليهم شبهة النفاق ، أو إظهارُ ما يخالف ما فى الفؤاد .

---

(١) التوبة٣٢ .

(معاهدة اليهود)

هذا وقد علمت أنه كان يضاد المسلمين فى المدينة فئتان : اليهود والمنافقون ، ولكن الرسول قبل من هؤلاء ظواهرهم ، وعقد مع أولئك عهداً مقتضاه : « ترك الحرب والأذى » فلا يحاربهم ولا يؤذيهم ، ولا يعينون عليه أحداً ، وإن دهمه بالمدينة عدو ينصرونه ، وأقرهم على دينهم .

(مشروعية القتال)

قد علم مما تقدم أن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يقاتل أحداً على الدخول فى الدين ؛ بل كان الأمر قاصرا على التبشير والإنذار وكان الله ـ سبحانه ـ ينزل عليه من الآى ما يقويه على الصبر أمام ما كان يلاقيه من أذى قريش ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ فى سورة الأحقاف : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾[1] وكان كثيراً ما يقص الله عليه أنباء إخوانه من المرسلين قبله ليثبت به فؤاده ، ولما ازداد طغيان اهل مكة الجؤوه إلى الخروج من داره بعد ان ائتمروا على قتله فكانوا هم البادئين بالعداء على المسلمين حيث اخرجوهم من ديارهم بغير حق فبعد الهجرة اذن الله للمهاجرين بقتال مشركى قريش بقوله فى سورة الحج : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى

---

(١) الاية ختام الاحقاف .

نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾[١] .

ثم امرهم بذلك فى قوله فى سورة البقرة : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ . وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ . فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾[٢] وبذلك لم يكن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتعرض إلا لقريش دون سائر العرب ، فلما تمالأ على المسلمين غير أهل مكة من مشركى العرب ، واتحدوا عليهم مع الأعداء أمر الله بقتال المشركين كافة بقوله فى سورة التوبة : ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾[٣] وبذلك صار الجهاد عاما لكل من ليس له كتاب من الوثنيين ، وهذا مصداق قوله ـ عليه الصلاة والسلام :

« أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » .

ولما وجد المسلمون من اليهود خيانة للعهود حيث إنهم ساعدوا المشركين فى حروبهم أمر الله بقتالهم بقوله ـ فى سورة

---

(١) الحج الآية ٣٩ ، ٤٠ آية مدنية فى ضمن سورة معظمها مكى .

(٢) البقرة ١٩٠ ـ ١٩٣ .

(٣) التوبة ـ ٣٦ .

الأنفال : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾(١) وقتالهم واجب حتى يدينوا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ؛ ليأمن المسلمون جانبهم وصار قتال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للأعداء على هذه المبادىء الآتية .

(١) اعتبار مشركى قريش محاربين ؛ لأنهم بدأوا بالعدوان فصار للمسلمين قتالهم ومصادرة تجارتهم حتى يأذن الله بفتح مكة أو تعقد هدنة وقتية بين الطرفين .

٢ ـ متى رؤى من اليهود خيانة وتحيز للمشركين قوتلوا حتى يؤمن جانبهم بالنفى أو القتل .

٣ ـ متى تعدت قبيلة من العرب على المسلمين أو ساعدت قريشا قوتلت حتى تدين بالإسلام .

٤ ـ كل من بادأ بعداوة من أهل الكتاب كالنصارى قوتل حتى يذعن بالإسلام ، أو يعطى الجزية عن يد وهو صاغر .

٥ ـ كل من أسلم فقد عصم دمه وماله إلا بحقه والإسلام يقطع ما قبله .

وقد أنزل الله ـ تعالى ـ فى القرآن الكريم كثيراً من الآى تحريضا على الإقدام فى قتال الأعداء ، وتبعيداً عن الفرار من الزحف فقال ـ فى الموضوع الأول فى سورة النساء : ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(٢) .

---

(١) الأنفال ـ ٥٨ .

(٢) النساء ـ ٧٤ .

وقال ـ فى الموضوع الثانى فى سورة الأنفال : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ . وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[١] .

(بدء القتال)

كانت عادة قريش أن تذهب بتجارتها إلى الشام لتبيع وتبتاع ، ويسمى الركب السائر بهذه التجارة عيرا ، وكان يسير معها لحراستها كثير من أشراف القوم وسراتهم ، ولابد لوصولهم إلى الشام من المرور على دار الهجرة فرأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يصادر تجارتهم ذاهبة وآيبة ليكون فى ذلك عقاب لمشركى مكة حتى تضعف قوتهم المالية فيكون ذلك أدعى لخذلانهم فى ميدان القتال الذى لابد أن يكون لأن قريشا لم تكن لتسكت عمن سفه أحلامهم وعاب عبادتهم خصوصا وهم قدوة العرب فى الدين[٢] .

(سرية[٣])

ففى شهر رمضان أرسل عمه حمزة بن عبد المطلب فى ثلاثين رجلا من (المهاجرين) وعقد له لواء أبيض حمله

---

(١) الأنفال ١٥ ـ ١٦ .

(٢) هذا ، وينبغى الا ننسى أموال المسلمين المهاجرين ، تلك الأموال التى صادرتها قريش عنتا وظلما من أصحابها المهاجرين .

(٣) السرية قطعة من الجيش ونريد بها كل غزاة لم يكن فيها رسول الله والتى كان فيها تسمى غزوة .

أبو مرثد حليف حمزة ليعترض عيراً لقريش آيبة من الشام ، فيها أبو جهل وثلاثمائة من أصحابه المشركين فسار حمزة حتى وصل ساحل البحر من ناحية العيص[1] فصادف العير هناك فلما تصافوا للقتال حجز بين الفريقين مجدى بن عمرو الجهنى فأطاعوه وانصرفوا وشكر ـ عليه الصلاة والسلام ـ مجديا على عمله لما كان من قلة عدد المسلمين وكثرة عدوهم .

وفى شوال : أرسل عبيدة بن الحارث ابن أخ حمزة فى **ثمانين راكبا من (المهاجرين)** وعقد له لواء أبيض ، حمله مسطح ابن أثاثة ليعترض عيرا لقريش فيها مائتا رجل ، فوافوا العير بـ (بطن رابغ)[2] فكان بينهم الرمى بالنبل ، ثم خاف المشركون أن يكون للمسلمين كمين فانهزموا ولم يتبعهم المسلمون وفر من المشركين إلى المسلمين : المقداد بن الأسود ، وعتبة بن غزوان ، وكانا قد أسلما وخرجا ليلحقا بالمسلمين .

(وفيــــات)

وفى هذه السنة توفى من المهاجرين :

(عثمان بن مظعون) أخو رسول الله ـ ﷺ ـ من الرضاع أسلم قديما وهاجر الهجرتين ، ولما دفن أمر ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأن يرش قبره بالماء ، ووضع على قبره حجراً ،

---

(١) عرض من اعراض المدينة اى ناحية منها .

(٢) واد بين الحرمين قرب البحر .

وقال : أتعلم به قبر أخى وأدفن إليه من مات من أهلى وهذا كان القصد من وضع الأحجار على المقابر لا ما يقصده أهل العصور الأخيرة من تشييد الهياكل على القبور وتصويرها بصور ترى فى عين الناظر كالأصنام ليأتى أقارب الميت ويصنعوا عندها احتفالات كثيرا ما تشبه ما كان يفعله مشركو مكة عند معابدهم ، ومن العبث فعل شىء لم يفعله رسول الله مما يتعلق بأمور الآخرة .

ومات من الأنصار :

(أسعد بن زرارة) أحد النقباء الاثنى عشر كان ـ رضى الله عنه ـ نقيب بنى النجار ولما مات اختار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نفسه للنقابة عليهم ؛ لأن ابن أخت القوم منهم .

ومات أيضاً (البراء بن معرور) أحد النقباء ، وهو الذى كان يتكلم عن القوم فى العقبة الثانية .

ومات من مشركى مكة فى هذه السنة الوليد بن المغيرة ولما احتضر جزع ، فقال له أبو جهل : ما جزعك ياعم ؟ فقال : والله ما بى من جزع من الموت ، ولكن أخاف أن يظهر دين ابن أبى كبشة بمكة . فقال أبو سفيان : لا تخف إنى ضامن أن لا يظهر .

وفيها أيضاً مات (العاصى بن وائل السهمى) وقد كفى الله المسلمين شر هذين الشقيين .

(السنة الثانية غزوة ودان)

ولاثنتى عشرة ليلة خلت من السنة الثانية خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من المدينة بعد ان استخلف عليها (سعد بن عبادة) ـ رضي الله عنه ـ ليعترض عيرا لقريش فسار حتى بلغ ودان[1] وكان يحمل لواءه عمه (حمزة) ـ رضي الله عنه ـ ولم يلق هناك حربا ، لأن العير كانت قد سبقته ، وفى هذه الغزوة صالح (بنى ضمرة) على أنهم آمنون على أنفسهم ، ولهم النصر على من رامهم ، وأن عليهم نصرة المسلمين إذا دعوا ، ثم رجع إلى المدينة بعد مضى خمس عشرة ليلة .

(غـزوة بـواط)

ولم يمض على رجوعه غير قليل حتى بلغه أن عيراً لقريش آيبة من الشام ، فيها (أمية بن خلف) ومائة من قريش وألفان وخمسمائة بعير ، فسار إليها فى مائتين من المهاجرين ، وذلك فى ربيع الأول ، وكان يحمل لواءه (سعد ابن أبى وقاص) فسار حتى بلغ (بواط)[2] فوجد العير قد فاتته ، فرجع ولم يلق كيدا ، وذلك كله لما كان يأخذه المشركون

---

(١) قرية بين مكة والمدينة بينها وبين الابواء ستة أميال .

(٢) جبال جهينة على أبراد من المدينة جهة ينبع .

من الحذر على أنفسهم والاجتهاد فى تعمية أخبارهم عن أهل المدينة .

(غزوة العشيرة)

وأعقب رجوعه (عليه الصلاة والسلام) خروج قريش بأعظم عير لها ؛ فقد جمعوا فيها أموالهم حتى لم يبق بمكة قرشى أو قرشية لها مثقال فصاعدا إلا بعث به فى تلك العير ، وكان يراسها (أبو سفيان بن حرب) ومعه بضعة وعشرون رجلا ، فخرج لها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى جمادى الأولى ومعه مائة وخمسون من المهاجرين ، واستخلف على المدينة (أبا سلمة بن عبد الأسد) وحمل لواءه عمه (حمزة) ـ رضى الله عنه ـ ولم يزل سائراً حتى بلغ (العشيرة) فوجد العير قد مضت . وحالف (عليه الصلاة والسلام) فى هذه الغزوة (بنى مدلج) وحلفاءهم ثم رجع ـ عليه السلام ـ إلى المدينة ينتظر هذه العير حينما ترجع .

(غـزوة بدر الأولى)

وبعد رجوعه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بقليل جاء (كرز بن جابر الفهرى) ـ رضى الله عنه ـ وأغار على سرح المدينة وهرب ، فخرج الرسول ـ فى طلبه واستخلف على المدينة (زيد بن حارثة الأنصارى) وحمل لواءه (على بن أبى طالب) ـ

رضى الله عنهما ـ فسار حتى بلغ سفوان[1] وفاته (كرز) فلم يلق حربا وتسمى هذه الغزوة بدر الأولى .

(سريـــة)

وفى رجب من هذه السنة أرسل سرية عدتها ثمانية رجال . يرأسها (عبد الله بن جحش) ـ رضى الله عنه ـ وأعطاه كتابا مختوما لا يفضه[2] إلا بعد أن يسير يومين ثم ينظر فيه فسار (عبد الله) يومين ، ثم فتح الكتاب فإذا فيه : (إذا نظرت كتابى هذا فامض حتى تنزل نخلة فترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم) ، وإنما لم يخبرهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ بمقصدهم ، وهم بالمدينة حذراً من شيوع الخبر فيدل عليهم أحد الأعداء من المنافقين أو اليهود ، فتترصد لهم قريش ، ولا يخفى أن عدد السرية قليل لا يمكنه المقاومة . ثم سار (عبد الله) رضى الله عنه .

وفى أثناء السير تخلف (سعد بن أبى وقاص) و(عتبة بن غزوان) لأنهما أضلا بعيرهما الذى كانا يعتقبانه ، وسار الباقون حتى وصلوا (نخلة) فمرت بهم عير قرشية تريد مكة فيها (عمرو بن الحضرمى) و(عثمان بن عبد الله بن المغيرة) وأخوه (نوفل) و(الحكم بن كيسان) فأجمع المسلمون أمرهم على أن يحملوا عليهم ويأخذوا ما معهم ،

---

(١) واد من ناحية بدر .

(٢) أى لا يفتحه إلا بعد يومين .

فحملوا عليهم فى آخر يوم من رجب فقتلوا (عمرو بن الحضرمى) وأسروا (عثمان) و(الحكم) وهرب (نوفل) واستاقوا العير وهى أول غنيمة غنمها المسلمون من أعدائهم قريش ، ثم رجعوا ولم يتمكن المشركون من اللحاق بهم ، فلما قدموا المدينة ، وشاع أنهم قاتلوا فى الأشهر الحرم ، وعابتهم قريش واليهود بذلك ، عنفهم المسلمون وقال لهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ ماأمرتكم بقتال فى الأشهر الحرم ، فندموا فأنزل الله فى سورة البقرة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ . وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾[1] فسرى عنهم وقد طلب المشركون فداء أسيريهما فقال ـ عليه الصلاة والسلام : حتى يرجع (سعد) و(عتبة) فلما رجعا قبل ـ عليه الصلاة والسلام ـ الفدية فى الأسيرين فأما (الحكم ابن كيسان) فأسلم وحسن إسلامه ، وبقى مع المسلمين وأما (عثمان) فلحق بمكة كافراً .

(تحويل القبلة)

مكث ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالمدينة ستة عشر شهراً يستقبل بيت المقدس فى صلاته ، وكان يحب أن تكون قبلته الكعبة ، ويقلب وجهه فى السماء داعيا الله بذلك ، فبينما هو

---

(١) البقرة ـ ٢١٧ .

فى صلاته إذ أوحى الله إليه بتحويل القبلة إلى الكعبة ، فتحول وتحول من وراءه ، وكانت هذه الحادثة سببا لافتتان بعض المسلمين الذين ضعفت قلوبهم فارتدوا على أعقابهم ، وقد أكثر اليهود من التنديد على الإسلام بهذا التحويل ، وما دروا أن لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

(صـــوم رمضـــان)

وفى شعبان من هذه السنة[1] أوجب الله صوم شهر رمضان على الأمة الإسلامية وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ قبل ذلك يصوم ثلاثة أيام من كل شهر ، والصيام من دعائم هذا الدين والفرائض التى بها يتم النظام ؛ فإن الإنسان مجبول على حب نفسه والسعى فيما يعود عليها بالنفع الخاص تاركا ما وراء ذلك من حاجات الضعفاء والمساكين ، فلابد من وازع يزعه لحاجات قوم أقعدتهم قواهم عن إدراك حاجاتهم ، ولا أقوى من ذوق قوارص الجوع والعطش ، إذ بهما تلين نفسه ويتهذب خلقه فيسهل عليه بذل الصدقات .

(صدقـــة الفطـــر)

ولذلك أوجب الشارع الحكيم عقب الصوم زكاة الفطر فترى الإنسان يبذلها بسخاء نفس ومحبة خالصة .

---

(١) الثانية من الهجرة .

(زكـاة المـال)

وفى هذا العام[1] فرضت زكاة الأموال ، وهذا هو النظام الوحيد الذى به يأكل الفقراء والمساكين من إخوانهم الأغنياء بلا ضرر على هؤلاء ؛ فإذا بلغت الدنانير عشرين أو الدراهم مائتين ، وحال عليها الحول ، وجب عليك أن تؤدى ربع عشرها اى اثنين ونصفا فى كل مائة ، ومازاد فبحسابه .

وإذا بلغت الشياه أربعين والبقرُ ثلاثين والإبل خمساً وحال عليها الحول وجب عليك كذلك أن تؤدى منها جزءاً مخصوصا حدده الشارع .

ومثلها عروض التجارة ومحصولات الزراعة كل هذا يقبضه الإمام ويوزعه على مستحقيه من الفقراء والمساكين ، وبقية المذكورين فى آية الصدقة : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(٢) .

واللبيب العاقل البعيد عن التعصب يحكم لأول نظرة أن هذا النظام مع عدم إضراره بالأغنياء مقلل لمصائب الفقر التى ألجأت كثيراً من فقراء الأمم ان يخالفوا نظام دولهم ويؤسسوا مبادىء تقويض العمران وتداعى الأمن كما يفعله الاشتراكيون وغيرهم .

---

(١) الثانى من الهجرة .

(٢) التوبة ـ ٦٠ .

(غزوة بدر الكبرى)

لم يطل العهد بتلك العير العظيمة التى خرج لها ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهى متوجهة إلى الشام فلم يدركها ، ولم يزل مترقباً رجوعها ؛ فلما سمع برجوعها ندب إليها اصحابه ، وقال : « هذه عير قريش فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها » فأجاب قوم وثقل آخرون لظنهم أن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يرد جربا فإنه لم يحتفل بها ، بل قال : « من كان ظهره[1] حاضراً فليركب معنا » ولم ينتظر من كان ظهره غائبا فخرج لثلاث ليال خلون من رمضان بعد أن ولى علىّ على المدينة (عبد الله ابن أم مكتوم) وكان معه ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا : مائتان ونيف وأربعون من الأنصار ، والباقون من المهاجرين ، ومعهم فرسان وسبعون بعيراً يعتقبونها والحامل للواء (مصعب بن عمير) العبدرى ولما علم أبو سفيان بخروج الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ استأجر راكبا ليأتى قريشا ويخبرهم الخبر فلما علموا بذلك أدركتهم حميتهم وخافوا على تجارتهم فنفروا سراعا ، ولم يتخلف من أشرافهم إلا أبو لهب بن عبد المطلب فإنه أرسل بدله العاص بن هشام بن المغيرة وأراد امية بن خلف أن يتخلف لحديث حدثه إياه (سعد بن معاذ) ـ رضى الله عنه ـ حينما كان معتمرا بعد الهجرة بقليل حيث قال ـ كما رواه البخارى : سمعت من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

(١) اراد بالظهر الدابة واطلق عليها مجازا مرسلا .

يقول : إنهم قاتلوك ، قال : بمكة ؟ قال : لا أدرى ، ففزع لذلك ، وحلف أن لا يخرج فعابه أبو جهل ، ولم يزل به حتى خرج قاصداً الرجوع بعد قليل ، ولكن إرادة الله فوق كل إرادة فإن منيته ساقته إلى حتفه رغم أنفه .

وكذلك عزم جماعة من الأشراف على القعود فعيب عليهم ذلك وبهذا اجمعت رجال قريش على الخروج فخرجوا على الصعب والذلول ، أمامهم القينات يغنين بهجاء المسلمين و﴿ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ﴾[1] وقد ضرب الله عمل الشيطان هذا مثلا يعتبر به ذوو الرأى من بعدهم ، فقال فى سورة الحشر : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾[2] وهكذا كان عمله فى هذه الواقعة : ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[3] ، وكان عدة من خرج من المشركين تسعمائة وخمسين رجلا معهم مائة فرس وسبعمائة بعير .

(أما) رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلم يكن يعرف شيئاً مما فعله المشركون ، ولم يكن خروجه إلا للعير فعسكر ببيوت السقيا خارج المدينة ، واستعرض الجيش فرد من ليس له قدرة على الحرب ، ثم أرسل اثنين يتجسسان الأخبار

---

(١) الأنفال ـ ٤٨ .
(٢) الحشر ـ ١٦ .
(٣) الأنفال ـ ٤٨ .

عن العير ولما بلغ الروحاء[1] جاءه الخبر بمسير قريش لمنع عيرهم ، وجاءه مخبراه بأن العير ستصل بدراً غداً أو بعد غد فجمع ـ عليه الصلاة والسلام ـ كبراء الجيش ، وقال لهم : « أيها الناس إن الله قد وعدنى إحدى الطائفتين أنها لكم العير أو النفير » فتبين له ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن بعضهم يريدون غير ذات الشوكة وهى العير ليستعينوا بما فيها من الأموال فقد قالوا : هلا ذكرت لنا القتال فنستعد ، وجاء مصداق ذلك قوله تعالى فى سورة الأنفال : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾[2] ثم قام (المقداد بن الأسود) ـ رضى الله عنه ـ فقال : يارسول الله ، امض لما أمرك الله ، فوالله لا نقول لك ـ كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَٰهُنَا قَاعِدُونَ ﴾[3] ولكن : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، والله لو سرت بنا إلى (برك الغماد) لجالدنا معك مَنْ دونه حتى تبلغه ، فدعا له بخير ، ثم قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ أشيروا على أيها الناس ـ وهو يريد الأنصار ، لأن بيعة العقبة ربما يفهم منها : أنه لا تجب عليهم نصرته إلا مادام بين أظهرهم فإن فيها .

« يارسول الله إنا براء من ذمتك حتى تصل إلى دارنا فإذا وصلت إليها فانت فى ذمتنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا » .

---

(١) موضع على ثلاثين او اربعين ميلا جنوب المدينة الغربى .
(٢) الأنفال ٧ .
(٣) المائدة ـ ٢٤ .

فقال سعد بن معاذ ـ سيد الأوس : كأنك تريدنا يارسول الله ؟ فقال : أجل . فقال سعد :

« قد آمنا بك وصدقناك وأعطيناك عهودنا فامض لما أمرك الله ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لنخوضنه معك ، وما نكره أن تكون تلقى العدو بنا غداً . إنا لصُبُرٌ عند الحرب صُدُقٌ عند اللقاء ، ولعل الله يريك منا ماتقر به عينك فسر على بركة الله » .

فأشرق وجهه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وسر بذلك وقال ـ كما فى رواية البخارى : (أبشروا ، والله ، لكأنى أنظر إلى مصارع القوم) فعلم القوم من هذه الجملة أن الحرب لابد حاصلة وحقيقة حصلت ؛ فإن أبا سفيان لما علم بخروج المسلمين له ترك الطريق المسلوكة ، وسار متبعاً ساحل البحر فنجا ، وأرسل إلى قريش يعلمهم بذلك ، ويشير عليهم بالرجوع فقال أبو جهل لا نرجع حتى نحضر بدراً[1] فنقيم فيه ثلاثا ، ننحر الجزر ، ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر ، وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبداً ، فقال الأخنس بن شريق الثقفى لبنى زهرة وكان حليفا لهم ارجعوا ياقوم فقد نجى الله أموالكم فرجعوا ولم يشهد بدرا زهرى ولا عدوى ثم سار الجيش حتى وصلوا (وادى بدر) فنزلوا عدوته القصوى[2] عن المدينة فى أرض سهلة لينة .

---

(١) محل بين مكة والمدينة وهو إلى المدينة اقرب فى الجنوب الغربى منها على الطريق السلطانى وكان به سوق يعقد كل سنة ثمانية أيام .

(٢) عدوة الوادى شاطئه .

أما جيش المسلمين فإنه لما قارب بدرا أرسل ـ عليه الصلاة والسلام ـ (على بن أبى طالب) و(الزبير بن العوام) ليعرفا الأخبار فصادفا سقاة لقريش فيهم غلام لبنى الحجاج وغلام لبنى العاص السهميين فأتيا بهما والرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ قائم يصلى ، ثم سألاهما عن أنفسهما ، فقالا : نحن سقاة لقريش بعثونا نسقيهم الماء فضرباهما لأنهما ظنا أن الغلامين لأبى سفيان . فقال الغلامان : نحن لأبى سفيان فتركاهما ، ولما أتم الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ صلاته قال : إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما . صدقا ، والله ، إنهما لقريش ، ثم قال لهما : أخبرانى عن قريش ، قالا : هم وراء هذا الكثيب ، فقال لهما : كم هم ؟ فقالا : لا ندرى ، قال : كم ينحرون كل يوم ؟ قالا : يوما تسعاً ويوما عشراً ، قال : القوم ما بين التسعمائة والألف ، ثم سألهما عمن فى النفير من أشراف قريش ـ فذكرا له عدداً عظيما . فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأصحابه : هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها[1] .

ثم ساروا حتى نزلوا بعدوة الوادى الدنيا من المدينة ، بعيداً عن الماء فى أرض سبخة ، فأصبح المسلمون عطاشا ، بعضهم جنب ، وبعضهم محدث ، فحدثهم الشيطان بوسوسته ، ولولا فضل الله عليهم ورحمته لثنيت عزائمهم ؛ فإنه قال لهم : ما ينتظر المشركون منكم إلا أن يقطع العطش

---

(١) قطع كبدها .

رقابكم ، وتذهب قواكم ، فيتحكموا فيكم كيف شاءوا .

فأرسل الله لهم الغيث حتى سال الوادى فشربوا ، واتخذوا الحياض على عدوة الوادى ، واغتسلوا وتوضأوا ، وملأوا الأسقية ولبدت الأرض حتى ثبتت عليها الأقدام ، على حين أن كان هذا المطر مصيبة على المشركين فإنه وحل الأرض حتى لم يعودوا يقدرون على الارتحال ومصداق هذا قوله - تعالى - فى سورة الأنفال : ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ ﴾[1] وقد أرى الله - سبحانه رسوله - صلى الله عليه وسلم - فى منامه الأعداء كما أراهموه وقت اللقاء قليلى العدة كيلا يفشل المسلمون ، وليقضى الله أمرا كان مفعولا قال - تعالى - فى سورة الأنفال : ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِى الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِى أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِى أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾[2] ثم سار جيش المسلمين حتى نزل أدنى ماء من بدر ، فقال له (الحباب بن المنذر الأنصارى) وكان مشهوراً بجودة الرأى : يارسول الله أهذا منزل أنزلكه الله ، ليس لنا أن نتقدم عنه أو نتأخر ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ فقال : بل هو الرأى والحرب والمكيدة فقال : يارسول الله ، ليس لك هذا بمنزل ، فانهض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم ،

---

(١) الأنفال - ١١ .
(٢) الأنفال ٤٣ - ٤٤ .

فإنى أعرف غزارة مائه وكثرته فننزله ونغور ما عداه من الآبار ، ثم نبنى عليه حوضا فنملؤه ماء فنشرب ولا يشربون .

فقال الرسول ـ عليه الصلاة والسلام : لقد أشرت بالرأى ، ونهض حتى أتى أدنى ماء من القوم ثم أمر بالآبار التى خلفهم فغورت لينقطع أمل المشركين فى الشرب من وراء المسلمين ، وبنى حوضا على القليب الذى نزل عليه ، ثم قال له (سعد بن معاذ سيد الأوس) : يانبى الله ألا نبنى لك عريشا تكون فيه ، ونعد عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ؛ فإن أعزنا الله ـ تعالى ـ وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا فقد تخلف عنك أقوام ـ يانبى الله ـ ما نحن بأشد لك حبا منهم ، ولا أطوع لك منهم ، لهم رغبة فى الجهاد ونية ، ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك إنما ظنوا أنها العير يمنعك الله بهم ويناصحونك ويجاهدون معك . فقال ـ عليه الصة والسلام : او يقضى الله خيرا من ذلك .

ثم بُنى للرسول عريش فوق تل مشرف على ميدان الحرب ، ولما اجتمعوا عدل ـ عليه الصلاة والسلام ـ صفوفهم مناكبهم متلاصقة فصاروا كأنهم بنيان مرصوص ، ثم نظر لقريش ، فقال : (اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذى وعدتنى به) .

وفى هذا الوقت وقع خلف بين رؤساء عسكر المشركين ، فإن عتبة بن ربيعة أراد أن يمنع الناس من الحرب ، ويحمل دم حليفه (عمرو بن الحضرمى) الذى قتل فى سرية (عبدالله بن جحش) ويحمل ما أصيب من عيره ، ودعا

الناس إلى ذلك ، فلما بلغ أبا جهل الخبر وسمه بالجبن وقال : والله لانرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وقبل أن تقوم الحرب على ساقها خرج من صفوف المشركين (الأسود بن عبدالأسد المخزومى) وقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه ، فخرج إليه (حمزة بن عبدالمطلب) وضربه ضربة قطع بها قدمه بنصف ساقه فوقع على ظهره فزحف على الحوض حتى اقتحم فيه ليبر قسمه فاتبعه حمزة فقتله ثم وقف - عليه الصلاة والسلام - يحرض الناس على الثبات والصبر وكان فيما قال : (وإن الصّبر فى مواطن البأس مما يفرج الله به الهم وينجى به من الغم) .

ثم ابتدأ القتال بالمبارزة ؛ فخرج من صفوف المشركين ثلاثة نفر : (عتبة بن ربيعة) بين أخيه (شيبة) وابنه (الوليد) فطلبوا أكفاءهم فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار ، فقالوا : لا حاجة لنا بكم إنما نريد أكفاءنا من بنى عمنا ، فأخرج لهم - عليه الصلاة والسلام - (عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب) للأول و (حمزة بن عبدالمطلب) للثانى و (على بن أبى طالب) للثالث فأما حمزة وعلى فقتلا صاحبيهما وأما عبيدة وعتبة فاختلفا بضربتين ، كلاهما جرح صاحبه فحمل رفيقا عبيدة على عتبة فأجهزا عليه ، وحمل عبيدة من بين الصفوف جريحا يسيل مخ ساقه ، وأضجعوه إلى جانب موقفه - صلى الله عليه وسلم - فأفرشه رسول الله قدمه الشريفة فوضع خده عليها وبشره - عليه الصلاة والسلام - بالشهادة فقال : وددت ، والله ، أن أبا طالب كان حيا ليعلم أننا أحق منه بقوله :

ونسلمه حتى نصرَّع حوله
ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وبعد انقضاء هذه المبارزة وقف ـ عليه الصلاة والسلام ـ بين الصفوف يعدلها بقضيب فى يده ، فمر بـ (سواد بن غزية) حليف بنى النجار وهو خارج من الصف فضربه بالقضيب فى بطنه ، وقال : استقم ياسواد ، فقال : أوجعتنى يارسول الله ، وقد بعثت بالحق والعدل فأقدنى من نفسك ، فكشف الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن بطنه وقال : استقد ياسواد ، فاعتنقه سواد ، وقبل بطنه ، فقال ـ عليه الصلاة والسلام : ما حملك على ذلك ؟ فقال : يارسول الله ، قد حضر ما ترى ؛ فأردت أن يكون آخر العهد أن يمس جلدى جلدك . فدعا له بخير ، ثم ابتدأ عليه الصلاة والسلام ـ يوصى الجيش ، فقال : « لا تحملوا حتى آمركم وإن اكتنفكم القوم فانضحوهم بالنبل ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم » ثم حضهم على الصبر والثبات ، ثم رجع إلى عريشه ومعه رفيقه (أبو بكر) وحارسه (سعد بن معاذ) واقف على باب العريش ، متوشح سيفه ، وكان من دعاء الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ذاك الوقت ، كما جاء فى صحيح البخارى : (اللهم أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد) فقال أبو بكر : حسبك ؛ فإن الله سينجز لك وعدك . فخرج ـ عليه الصلاة والسلام ـ من العريش ، وهو يقول : « سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ »[1] ثم قال ـ عليه الصلاة

---

(١) القمر ـ ٤٥ .

والسلام ـ يحرض الجيش : (والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسبا ، مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة ، ومن قتل قتيلا فله سلبه) فقال (عمير ابن الحمام) وبيده تمرات يأكلها : بخ بخ ما بينى وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء ، ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفه ، وقاتل حتى قتل ، واشتد القتال ، وحمى الوطيس ، وأيد الله المسلمين بالملائكة بشرى لهم ولتطمئن به قلوبهم ، فلم تكن إلا ساعة حتى هزم الجمع ، وولوا الدبر ، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون .

قتلى المشركين

فقتل من المشركين نحو السبعين، منهم من قريش : عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة ، قتلوا مبارزة أول القتال ، وأبو البخترى بن هشام والجراح والد أبى عبيدة قتله ابنه بعد أن ابتعد عنه فلم يزدجر ، وقتل أمية بن خلف ، وابنه على ، اشترك فى قتلهما جماعة من الأنصار مع بلال بن رباح وعمار بن ياسر ، وقد سعيا فى ذلك لما كان يفعله بهما أمية فى مكة .

ومن القتلى : حنظلة بن أبى سفيان ، وأبو جهل بن هشام أثخنه فتيان صغيران من الأنصار لما كانا يسمعانه من أنه كان شديد الإيذاء لرسول الله ، وأجهز عليه عبد الله بن مسعود ، وقتل نوفل بن خويلد ، قتله على بن أبى طالب ، وقتل عبيدة والعاصى ولدا أبى أحيحة سعيد بن العاص بن أمية ، وقتل كثير غيرهم .

أسـرى بـدر

اما الأسرى فكانوا سبعين أيضاً ، قتل منهم - عليه الصلاة والسلام - وهو راجع : عقبة بن أبى معيط والنضر بن الحارث اللذين كانا بمكة من أشد المستهزئين .

وقد أمر - عليه الصلاة والسلام - بالقتلى فنقلوا من مصارعهم التى كان الرسول - عليه الصلاة والسلام - أخبر بها قبل حصول الموقعة إلى (قليب بدر) لأنه - عليه الصلاة والسلام - كان من سننه فى مغازيه إذا مر بجيفة إنسان أمر بها فدفنت لا يسأل عنه مؤمنا أو كافراً ، ولما ألقى عتبة والد أبى حذيفة أحد السابقين إلى الإسلام تغير وجه ابنه ففطن الرسول - عليه الصلاة والسلام - لذلك ، فقال : لعلك دخلك من شأن أبيك شيء ؟ فقال : لا ، والله ، ولكنى كنت أعرف من أبى رأيا وحلما وفضلا ؛ فكنت أرجو أن يهديه الله للإسلام ، فلما رأيت ما مات عليه حزننى ذلك ، فدعا له الرسول - عليه الصلاة والسلام - بخير .

ثم أمر - عليه الصلاة والسلام - براحلته فشد عليها حتى قام على شفة القليب الذى رمى فيه المشركون فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم : يافلان ابن فلان ويافلان ابن فلان ، أيسركم أنكم كنتم أطعتم الله ورسوله ؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟

فقال عمر : يارسول الله ، ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها ..

فقال : والذى نفس محمد بيده ، ماأنتم بأسمع لما أقول منهم .

وتقول عائشة ـ رضى الله عنها : إنما قال : إنهم الآن ليعلمون أن ما كنتُ أقول لهم حق ، ثم قرأت أنك لا تسمع الموتى ، وما أنت بمسمع من فى القبور .

تقول يعلمون ذلك حينما تبوأوا مقاعدهم من النار (رواه البخارى) .

ثم أرسل ـ عليه الصلاة والسلام ـ المبشرين فأرسل (عبد الله بن رواحة) لأهل العالية[1] وأرسل (زيد بن حارثة) لأهل السافلة راكبا على ناقة رسول الله ـ ﷺ ـ وكان المنافقون والكفار من اليهود قد أرجفوا بالرسول ـ ﷺ ـ والمسلمين عادة الأعداء فى إذاعة الضراء ، يقصدون بذلك فتنة المسلمين ، فجاء أولئك المبشرون بما سر أهل المدينة ، وكان ذلك وقت انصرافهم من دفن رقية ـ رضى الله عنها ـ بنت رسول الله ـ ﷺ ـ وزوج عثمان ، ثم قفل رسول الله ـ ﷺ ـ راجعاً . وهنا وقع خلف بين بعض المسلمين فى قسمة الغنائم فالشبان يقولون : باشرنا القتال فهى لنا خالصة ، والشيوخ يقولون : كنا ردءا لكم فنشارككم ولما كان هذا الاختلاف مما يدعو إلى الضعف ويزرع فى القلوب العداوة والبغضاء المؤديين إلى تشتت الشمل أنزل الله حسما لهذا الخلاف أول سورة الأنفال : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ[2] قُلِ

---

(١) قرى بظاهر المدينة وهى العوالى .

(٢) الغنائم .

الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ فسطع على أفئدتهم نور القرآن فتآلفت بعد أن كادت تفترق ، وتركوا أمر الغنائم لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يضعها كيف شاء كما حكم القرآن فقسمها عليه الصلاة والسلام على السواء الراجل مع الراجل والفارس مع الفارس .

إسـهام لمن لم يحضر

وادخل في الإسهام بعض من لم يحضر لأمر كلف به : وهم :

أبو لبابة الأنصارى ، لأنه كان مخلفا على أهل المدينة ، والحارث بن حاطب ؛ لأن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ خلفه على بنى عمرو بن عوف ليحقق أمراً بلغه ، والحارث بن الصمة ، وخوات بن خبير ، لأنهما كشرا بالروحاء فلم يتمكنا من الصبر ، وطلحة بن عباد الله ، وسعيد بن زيد لأنهما ارسلا يتجسسان الأخبار فلم يرجعا إلا بعد انتهاء الحرب ، وعثمان بن عفان ، لأن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ خلفه على ابنته رقية يمرضها وعاصم بن عدى ، لأنه خلفه على أهل قباء والعالية .

إسـهام للشـهداء

وكذلك اسهم لمن قتل ببدر وهم أربعة عشر ، منهم : عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الذى جرح فى

المبارزة الأولى ؛ فإنه ـ رضى الله عنه ـ مات عند رجوع المسلمين من بدر ، ودفن بـ « الصفراء » ولما قارب ـ عليه الصلاة والسلام ـ المدينة تلقته الولائد بالدفوف يقلن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا مادعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

(أسرى بدر)

ولما دخلوا المدينة استشار ـ عليه الصلاة والسلام ـ أصحابه فيما يفعل بالأسرى ، فقال عمر بن الخطاب : يارسول الله ، قد كذبوك وقاتلوك وأخرجوك ، فأرى أن تمكنني من فلان ـ لقريب له ـ فأضرب عنقه ، وتمكن حمزة من أخيه العباس ، وعليا من أخيه عقيل ، وهكذا حتى يُعلم أنه ليس فى قلوبنا مودة للمشركين ، ما أرى أن تكون لك أسرى فأضرب أعناقهم ، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم . ووافقه على ذلك سعد بن معاذ وعبد الله بن رواحة .

وقال أبو بكر : يارسول الله هؤلاء أهلك وقومك قد أعطاك الله الظفر والنصر عليهم ، أرى أن تستبقيهم ، وتأخذ الفداء منهم ، فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار ، وعسى أن الله يهديهم بك ؛ فيكونوا لك عضداً .

فقال ـ عليه الصلاة والسلام : إن الله ليلين قلوب أقوام حتى تكون ألين من اللين ، وإن الله ليشدد قلوب أقوام حتى

تكون أشد من الحجارة ، وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال : ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] وأن مثلك ياعمر مثل نوح قال : ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾[2] .

ورأى - عليه الصلاة والسلام - رأى أبى بكر بعد ان مدح كلا من الصاحبين ؛ لأن الوجهة واحدة وهى إعزاز الدين وخذلان المشركين ، ثم قال لأصحابه : أنتم اليوم عالة فلا يفلتن أحد من أسراكم إلا بفداء . وقد بلغ قريشا ما عزم عليه الرسول فى أمر الأسرى فناحت على القتلى شهراً ، ثم أشير عليهم من كبارهم أن لا يفعلوا ، كيلا يبلغ محمداً وأصحابه جزعهم فيشمتوا بهم فسكتوا وصمموا أن لا يبكوا قتلاهم حتى يأخذوا بثأرهم ، وتواصوا فيما بينهم أن لا يعجلوا فى طلب الفداء ؛ لئلا يتغالى المسلمون فيه .

(الفـــداء)

فلم يلتفت إلى ذلك المطلب بن أبى وداعة السهمى ، وكان أبوه من الأسرى ، فخرج خفية حتى اتى المدينة ، وفدى أباه بأربعة آلاف درهم ، وعند ذلك بعثت قريش فى فداء أسراها وكان أربعة آلاف إلى ألف درهم ، ومن لم يكن معه فداء وهو يحسن القراءة والكتابة أعطوه عشرة من غلمان المدينة يعلمهم وكان ذلك فداءه .

---

(١) إبراهيم (عليه السلام) - ٣٦ .

(٢) نوح (عليه السلام) - ٢٦ .

حوادث بعض الأسرى

ومن الأسرى : عمرو بن أبى سفيان ولما طلب من أبيه فداءه ، أبى ، وقال : والله لا يجمع محمد بين ابنى ومالى ، دعوه يمسكوه فى أيديهم ما بدا لهم فبينما أبو سفيان بمكة إذ وجد سعد بن النعمان الأنصارى معتمراً فعدا عليه فحبسه بابنه عمرو ، فمضى قوم سعد إلى رسول الله - ﷺ - وأخبروه الخبر فأعطاهم عمراً ، ففكوا به سعداً .

ومن الأسرى : أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكان - عليه الصلاة والسلام - قد أثنى عليه خيراً فى مصاهرته ؛ فإنه لما استحكمت العداوة بين قريش ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة طلبوا من أبى العاص أن يطلق زينب ، كما فعل ابنا أبى لهب بابنتى الرسول - عليه الصلاة والسلام - فامتنع ، وقال : والله لا أفارق صاحبتى ، وما أحب أن لى بها امرأة من قريش ، ولما أسر أرسلت (زينب) فى فدائه قلادة لها ، كانت حلتها بها أمها خديجة ليلة عرسها فلما رأى - عليه الصلاة والسلام - تلك القلادة رق لها رقة شديدة ، وقال لأصحابه : إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها قلادتها فافَعلوا - فرضى الأصحاب بذلك فأطلقه - عليه الصلاة والسلام - بشرط أن يترك « زينب » تهاجر إلى المدينة ، فلما وصل إلى مكة أمرها باللحاق بأبيها وكان الرسول - صلى الله عليه وسلم - أرسل لها من يأتى بها فاحتملوها .

هذا ولما أسلم (أبو العاص بن الربيع) قبيل الفتح رد عليه امرأته بالنكاح الأول .

ومن الأسرى : سهيل بن عمرو وكان من خطباء قريش وفصحائها ، وطالما آذى المسلمين بلسانه ، فقال عمر بن الخطاب : دعنى ، يارسول الله ، انزع ثنيتى سهيل يدلع[1] لسانه فلا يقوم عليك خطيباً فى موطن أبدا ، فقال ـ عليه الصلاة والسلام : لا أمثل ؛ فيمثل الله بى وإن كنت نبياً ، وعسى أن يقوم مقاما لا تذمه ، وقدم بفدائه مكرز بن حفص . ولما ارتضى معهم على مقدار حبس نفسه بدله حتى جاء بالفداء .

هذا وقد حقق الله خبر الرسول فى سهيل فإنه لما مات ـ عليه الصلاة والسلام ـ أراد أهل مكة الارتداد ، كما فعل غيرهم من الأعراب ، فقام سهيل هذا خطيبا ، وقال ـ بعد أن حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله :

« أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت » . ألم تعلموا أن الله قال : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[2] وقال : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾[3] .

ثم قال : والله إنى أعلم أن هذا الدين سيمتد امتداد

---

(١) يخرج .
(٢) الزمر ـ ٣٠ .
(٣) آل عمران ـ ١٤٤ .

الشمس فى طلوعها فلا يغرنكم هذا (يريد أبا سفيان) من أنفسكم ؛ فإنه ليعلم من هذا الأمر ما أعلم ، لكنه قد ختم على صدره حسد بنى هاشم ، وتوكلوا على ربكم ؛ فإن دين الله قائم ، وكلمته تامة ، وأن الله ناصر من نصره ومقو دينه وقد جمعكم الله على خيركم (يريد أبا بكر - رضى الله عنه) ، وإن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة ، فمن رأيناه ارتد ضربنا عنقه » .

فتراجع الناس عما كانوا عزموا عليه وكان هذا الخبر من معجزات نبينا - ﷺ - .

ومن الأسرى : الوليد بن الوليد : تداه أخواه خالد وهشام فلما افتدى ورجع إلى مكة أسلم ، فقيل له : هلا أسلمت قبل الفداء ؟ فقال : خفت أن يعدوا إسلامى خوفا ولما أراد الهجرة منعه أخواه ففر إلى النبى فى عمرة القضاء .

ومن الأسرى : السائب بن يزيد ، وكان صاحب الراية فى تلك الحرب ، فدى نفسه - وهو الجد الخامس للإمام محمد ابن إدريس الشافعى .

ومنهم وهب بن عمير الجمحى ، كان أبوه عمير شيطانا من شياطين قريش كثير الإيذاء لرسول الله - ﷺ - جلس يوما بعد انتهاء هذه الحرب مع صفوان بن أمية يتذاكران مصاب بدر ، فقال عمير : والله لولا دين على ليس عندى قضاؤه ، وعيال أخشى عليهم الفقر بعدى ، كنت آتى محمداً فاقتله ، فإن ابنى أسير فى أيديهم .

فقال له صفوان : دينك علىّ وعيالك مع عيالى ، فأخذ عمير سيفه وشحذه وسمه ، وانطلق حتى قدم المدينة ، فبينا عمر مع نفر من المسلمين . إذ نظر إلى عمير متوشحا سيفه فقال :

هذا الكلب عدو الله ما جاء إلا بشر ، ثم قال ـ للنبى عليه الصلاة والسلام : هذا عدو الله عمير قد جاء متوشحا سيفه ، فقال : أدخله علىّ ، فأخذ عمر بحمائل سيفه ، وأدخله ، فلما رآه ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال : أطلقه ياعمر ، ادن ياعمير ، فدنا وقال : انعموا صباحا فقال ـ عليه الصلاة والسلام : قد أبدلنا الله تحية خيرا من تحيتك وهى السلام ، ثم قال : ما جاء بك ياعمير ؟ قال : جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم فأحسنوا فيه .

قال : فما بال السيف ؟ قال : قبحها الله من سيوف ، وهل أغنت عنا شيئاً ؟

فقال ـ عليه الصلاة والسلام : أصدقنى ما الذى جئت له ؟ قال : ما جئت إلا لذلك .

قال ـ عليه الصلاة والسلام : كلا ، بل قعدت أنت وصفوان فى الحجر ، وقلتما كيت وكيت فأسلم عمير ، وقال : كنا نكذبك بما تأتى به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحى ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان .

فقال ـ عليه الصلاة والسلام : فقهوا أخاكم فى دينه ، وأقرئوه القرآن وأطلقوا أسيره ، فعاد عمير إلى مكة وأظهر إسلامه .

ومن الأسرى أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير مر به أخوه ، فقال للذى أسره : شد يدك به ، فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك . فقال له : ياأخى هذه وصايتك بى ؟ بعثت أمه بفدائه أربعة آلاف درهم .

ومن الأسرى : العباس بن عبد المطلب ـ عم رسول الله ـ

صلى الله عليه وسلم ـ كان قد خرج لهذه الحرب مكرها ، ولما وقع فى الأسر طلب منه فداء نفسه وابن أخيه عقيل بن أبى طالب ، فقال : علام ندفع وقد استكرهنا على الخروج ؟ فقال ـ عليه الصلاة والسلام : لقد كنت فى الظاهر علينا ، فأخذت منه فدية نفسه وابن أخيه ، ثم قال للرسول ـ صلى الله عليه وسلم : لقد تركتنى فقير قريش ما بقيت ! قال : كيف ، وقد تركت لأم الفضل أموالا وقلت لها : إن مت فقد تركتك غنية ـ فقال العباس : والله ما اطلع على ذلك أحد .

وهذا العمل غاية ما يفعل من العدل والمساواة فإنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يعاف عمه مع علمه بأنه إنما خرج مكرها ، وقد عافى غيره جماعة تحقق له فقرهم ، فهكذا العدل ، ولا غرابة فذلك أدب قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ ﴾[1] .

ومن الأسرى : أبو عزة الجمحى الشاعر كان شديد الإيذاء لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمكة ، فلما أسر ، قال : يا محمد ، إنى فقير ، وذو عيال ، وذو حاجة قد عرفتها فامنن علىَّ ، فمن عليه فضلا منه .

---

(١) النساء ـ ١٣٥ .

(العتاب فى الفداء)

ولما تم الفداء انزل الله فى شأنه : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(١) نهى سبحانه عن اتخاذ الأسرى قبل الإثخان فى قتل الذين يصدون عن سبيل الله ، ويمنعون دين الله من الانتشار ، وعاب بعض المسلمين على إرادة عرض الدنيا ، وهو الفدية ، ولولا حكم سابق من الله أن لا يعاقب مجتهدا على اجتهاده مادام المقصد خيرا لكان العذاب ، ثم أباح لهم الأكل من تلك الفدية المبنى أخذها على النظر الصحيح ، وهذا من أقوى الأدلة على صدق نبينا ـ عليه الصلاة والسلام ـ فيما جاء به ، لانه لو كان من عنده ما كان يعاتب نفسه على عمل عمله بناء على رأى كثير من الصحابة ، وقد وعد الله الأسرى الذين يعلم فى قلوبهم خيرا بأن يؤتيهم خيرا مما أخذ منهم ، ويغفر لهم فقال : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢) وهذه الغزوة هى التى أعز الله بها الإسلام ، وقوى أهله ، ودمغ فيها الشرك ، وخرب محله مع قلة المسلمين

---

(١) الانفال ـ ٦٧ ، ٦٨ .

(٢) الانفال ـ ٧٠ .

وكثرة عدوهم فهى آية ظاهرة على عناية الله تعالى بالإسلام وأهله مع ما كان عليه العدو من القوة بسوابغ الحديد ، والعدة الكاملة والخيل المسومة والخيلاء الزائدة ولذلك قال الله ممتنا على عباده بهذا النصر : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾[2] اى قليل عددكم لتعلموا أن النصر إنما هو من عند الله فهى أعظم غزوات الإسلام ، إذ بها كان ظهوره ، وبعد وقوعها أشرق على الآفاق نوره ؛ فقد قتل فيها من صناديد قريش من كانوا الأعداء الألداء للإسلام ، ودخل الرعب فى قلوب العرب الآخرين ، فكانت للمسلمين هيبة بها يكسرون الجيوش ويهزمون الرجال فلا جرم أن شكرنا العلى الأعلى على هذه العناية واتخذنا يوم النصر فى بدر وهو السابع عشر من رمضان عيدا نتذكر فيه نعمة الله على رسوله وعلى المسلمين .

(غـزوة قينقاع)

هذا ، وإذا كان للشخص عدوان فانتصر على أحدهما حرك ذلك شجو الآخر ، وهاج فؤاده فتبدو بغضاؤه غير مكترث بعاقبة عدائه .

وهذا ما حصل من يهود بنى قينقاع عند تمام الظفر فى بدر ، فإنهم نبذوا ما عاهدوا المسلمين عليه ؛ وأظهروا مكنون ضمائرهم فبدت البغضاء من أفواههم ، وانتهكوا حرمة سيدة

---

(١) المعلمة .

(٢) آل عمران ـ ١٢٣ .

من نساء الأنصار ، وهذا مما يدعو المسلمين للتحرز منهم ، وعدم ائتمانهم فى المستقبل إذا شبت الحرب فى المدينة بين المسلمين وغيرهم ؛ فأنزل الله فى سورة الأنفال : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ[1] إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾[2] فدعا عليه الصلاة والسلام رؤساءهم وحذرهم عاقبة البغى ونكث العهد ، فقالوا : يامحمد لا يغرنك ما لقيت من قومك ؛ فإنهم لا علم لهم بالحرب ، ولو لقيتنا لتعلمن أنا نحن الناس ، وكانوا أشجع يهود ، فأنزل الله فى سورة آل عمران : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ . قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾[3] وعند ذلك تبرأ من حلفهم (عبادة بن الصامت) أحد رؤساء الخزرج ، وتشبث بالحلف عبد الله بن أبىّ[4] وقال : إنى رجل أخشى الدوائر فأنزل الله تعليما للمسلمين فى سورة المائدة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ

---

(١) اى فاطرح لهم العهد على طريق مستو قصد بأن تظهر لهم نبذ العهود ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد لان ذلك خيانة ولذا قال (إن الله لا يحب الخائنين) ؟

(٢) الأنفال ـ ٥٨ .

(٣) آل عمران ١٢ ، ١٣ .

(٤) هو رأس المنافقين .

لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . فَتَرَى الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِى أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾[1] وعندما تظاهر يهود قينقاع بالعداوة وتحصنوا بحصونهم سار إليهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى نصف شوال من هذه السنة يحمل لواءه عمه حمزة ـ رضى الله عنه ـ وخلف على المدينة أبا لبابة الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ فحاصرهم خمس عشرة ليلة .

(جــلاء قينقاع)

ولما رأوا من أنفسهم العجز عن مقاومة المسلمين وأدركهم الرعب ، سألوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يخلى سبيلهم ، فيخرجوا من المدينة ولهم النساء والذرية ، وللمسلمين الأموال ، فقبل ذلك ـ عليه الصلاة والسلام ـ ووكل بجلائهم عبادة بن الصامت ـ رضى الله عنه ـ وأمهلهم ثلاث ليال فذهبوا إلى أذرعات[2] ، ولم يحل عليهم الحول حتى هلكوا كلهم وخمس ـ عليه الصلاة والسلام ـ أموالهم وأعطى سهم ذوى القربى لبنى هاشم ولبنى المطلب دون بنى أخويهما عبد شمس ونوفل ، ولما سئل عن ذلك ؟ قال : إنما بنو هاشم وبنو عبد المطلب شىء واحد فى الجاهلية والإسلام هكذا وشبك بين أصابعه .

---

(١) المائدة ٥١ ، ٥٢ .

(٢) بلد بالشام .

(غـزوة السويـق)

كان أبو سفيان متهيجا ؛ لأنه لم يشاهد بدرا التى قتل فيها ابنه وذوو قرباه ، فحلف أن لا يمس رأسه الماء حتى يغزو محمداً ، وليبر بقسمه خرج بمائتين من أصحابه يريد المدينة ، ولما قاربها أراد أن يقابل اليهود من بنى النضير ليهيجهم ، ويستعين بهم على حرب المسلمين ؛ فأتى سيدهم حيى بن أخطب فلم يرض مقابلته ، فأتى سلام بن مشكم فأذن له واجتمع به ، ثم خرج من عنده وأرسل رجالا من قريش إلى المدينة فحرقوا بعض نخلها ، ووجدوا أنصاريا فقتلوه ، ولما علم بذلك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خرج أثرهم فى مائتين من أصحابه لخمس خلون من ذى الحجة بعد أن ولى على المدينة (بشير بن عبد المنذر) ـ رضى الله عنه ـ ولكن لم يلحقهم لأنهم هربوا وجعلوا يخففون ما يحملونه ليكونوا اقدر على الإسراع ، فألقوا ما معهم من جرب السويق فأخذه المسلمون ؛ ولذلك سميت هذه الغزوة بغزوة السويق .

(صـلاة العيـد)

وفى هذا العام سن الله ـ تعالى ـ للعالم الإسلامى سنة عظيمة بها يتمكن ابناء البلد الواحد من المسلمين أن يجددوا عهود الإخاء ، ويقووا عروة الدين الوثقى ، وهى الاجتماع فى يومى عيد الفطر وعيد الأضحى ، وكان ـ عليه الصلاة

والسلام ـ يجمع المسلمين فى صعيد واحد ، ويصلى بهم ركعتين تضرعا إلى الله أن لا يقصم عروتهم ، وأن ينصرهم على عدوهم ، ثم يخطبهم حاضا لهم على الائتلاف ومذكراً لهم ما يجب عليهم لأنفسهم ، ثم يصافح المسلمون بعضهم بعضا ، وبعد ذلك يخرجون لأداء الصدقات للفقراء والمساكين حتى يكون السرور عاما لجميع المسلمين فبعد الفطر زكاته وبعد الأضحى تضحيته نسأله تعالى أن يؤلف قلوبنا ويوفقنا لأعمال سلفنا .

(زواج على بفاطمة عليهما السلام)

وفى هذه السنة[1] تزوج على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ وعمره إحدى وعشرون سنة بفاطمة بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسنها خمس عشرة سنة ـ رضى الله عنها ـ وكان منها عقب الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ بنو الحسن والحسين وزينب .

وفيها دخل عليه الصلاة والسلام بعائشة بنت أبى بكر ـ رضى الله عنها ـ وسنها إذ ذاك تسع سنوات .

(السنة الثالثة)

يالله يقضى على الشقى بالشقاوة حتى لا يسمع ولا يبصر فيتخذ الغدر رداء ، والخيانة شعاراً ؛ فلا ينجح معه إلا إراحة العالم من شره .

---

(١) اى الثانية .

هذا كعب بن الأشرف اليهودى عظيم بنى النضير أعمته عداوة المسلمين حتى خلع برقع الحياء ، وصار يحرض قريشاً على حرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويهجوه بالشعر ، ويجتهد فى إثارة الشحناء بين المسلمين ، فكلما جبر - عليه الصلاة والسلام - كسرا هاضه هذا الشقى بما ينفثه من سموم لسانه .

(قتل كعب بن الأشرف)

ولما انتصر المسلمون ببدر ورأى الأسرى مقرنين فى الحبال ، خرج إلى قريش يبكى قتلاهم ، ويحرضهم على حرب المسلمين . فقال - عليه الصلاة والسلام : من لكعب بن الأشرف ؛ فإنه قد آذى الله ورسوله ؟ فقال محمد بن مسلمة الأنصارى الأوسى - رضوان الله عليه : اتحب أن اقتله ؟ قال : نعم ، قال : انا لك به ، وأذن لى أن اقول شيئا اتمكن به . فاذن له ، ثم خرج ، ومعه أربعة من قومه ، حتى أتى كعباً . فقال له : إن هذا الرجل (يريد رسول الله) قد سألنا صدقة ، وإنه قد عنانا ، وانى قد اتيتك استسلفك . قال : وايضاً والله لتملنه . قال : إنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أى شىء يصير شأنه ؟ وقد اردنا ان تسلفنا وسقا او وسقين . قال : نعم ، ولكن ارهنونى قالوا : أى شىء تريد ؟ قال : ارهنونى نساءكم . قالوا : كيف نرهنك نساءنا وانت اجمل العرب ؟ قال : فارهنونى ابناءكم . قالوا : كيف نرهنك ابناءنا فيسب احدهم فيقال : رهن بوسق أو

وسقين ؟ ، هذا عار علينا ، ولكن نرهنك اللأمة (يعنى السلاح) فرضى فواعده ليلا ان يأتيه ، فجاءه ليلا ، ومعه ابو نائلة اخو كعب من الرضاع ، وعباد بن بشر ، والحارث بن اوس ، وابو عبس بن جبر وكلهم (أوْسِيوُّن) فنادا محمد ابن مسلمة فأراد أن ينزل فقالت له امراته : أين تخرج الساعة وإنك امرأ تحارب ؟ فقال : إنما هو ابن أخى محمد بن مسلمة ، ورضيعى ابو نائلة ، إن الكريم لو دعى إلى طعنة بليل لأجاب ، ثم قال محمد لمن معه : إذا جاءنى فإنى آخذ بشعره فاشمه فإذا رايتمونى استمكنت من راسه فاضربوه . فنزل إليهم كعب متوشحا سيفه ، وهو ينفح منه ريح المسك ، فقال محمد : ما رأيت كاليوم ريحا اطيب اتأذن لى ان اشم راسك ؟ قال : نعم فشمه ، فلما استمكن منه قال : دونكم فاقتلوه ففعلوا . وأراح الله المسلمين من شر أعماله التى كان يقصدها بهم . ثم أتوا النبى - صلى الله عليه وسلم - فأخبروه .

وكان قتل هذا الشقى فى ربيع الأول من هذا العام ، وكان عليه الصلاة والسلام - إذا رأى من رئيس غدراً ، ومقاصد سوء ، ومحبة لإثارة الحرب أرسل له من يريحه من شره ، وقد فعل كذلك مع أبى عفك اليهودى ، وكان مثل كعب فى الشر .

(غزوة غطفان)

بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ان بنى ثعلبة ومحارب من غطفان تجمعوا برياسة رئيس منهم اسمه

(دعثور) يريدون الغارة على المدينة ، فأراد ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن يغل أيديهم كيلا يتمكنوا من هذا الاعتداء فخرج إليهم من المدينة فى أربعمائة وخمسين رجلا لثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الأول ، وخلف على المدينة (عثمان ابن عفان) ـ رضى الله عنه ـ ولما سمعوا بسير رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هربوا إلى رءوس الجبال ، ولم يزل المسلمون سائرين حتى وصلوا ماء يسمى (ذا أمر) فعسكروا به وحدث أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ نزع ثوبه يجففه من مطر بلله وارتاح تحت شجرة والمسلمون متفرقون فأبصره دعثور ، فأقبل إليه بسيفه حتى وقف على رأسه ، وقال : من يمنعك منى يامحمد ؟ فقال : الله . فأدركت الرجل هيبة ورعب أسقطا السيف من يده ، فتناوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقال لدعثور : من يمنعك منى ؟ قال : لا أحد . فعفا عنه فأسلم الرجل ، ودعا قومه للإسلام ، وحول الله قلبه من عداوة رسول الله ـ ﷺ ـ وجمع الناس لحربه إلى محبته وجمع الناس له .

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وهذا ما ينتجه حسن المعاملة والبعد عن الفظاظة وغلظ القلب : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾[1].

---

(١) آل عمران ـ ١٥٩ .

(غـزوة بحـران)

بلغه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ان جمعاً من بنى سليم يريدون الغارة على المدينة فسار إليهم فى ثلاثمائة من أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ لست خلون من جمادى الأولى ، وخلف على المدينة ابن أم مكتوم ـ رضى الله عنه ـ ولما وصل إلى بحران[1] تفرقوا ولم يلق كيداً فرجع .

(سـريـــة)

لما تيقنت قريش أن طريق الشام من جهة المدينة أغلق فى وجه تجارتهم ، ولا يمكنهم الصبر عنها ؛ لأن بها حياتهم ارسلوا عيرا إلى الشام من طريق العراق ، وكان فيها جمع من قريش منهم : أبو سفيان بن حرب ، وصفوان بن أمية ، وحويطب بن عبد العزى . فجاءت أخبارهم لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأرسل لهم زيد بن حارثة ـ رضى الله عنه ـ فى مائة راكب يترقبونهم ، وكان ذلك فى جمادى الآخرة فسارت السرية حتى لقيت العير على ماء اسمه (القردة) بناحية نجد فأخذت العير وما فيها ، وهرب الرجال .

وقد خمس الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ هذه حينما وصلت له .

---

(١) موضع بناحية الفرع وهذا موضع من أضخم أعراض المدينة .

(غـزوة أحـد)

لما أصاب قريشاً ما أصابها ببدر ، وأغلقت فى وجوههم طرق التجارة اجتمع من بقى من أشرافهم إلى (أبى سفيان) رئيس تلك العير التى جلبت عليهم المصائب ، وكانت موقوفة بدار الندوة ولم تكن سلمت لأصحابها بعد ، فقالوا : إن محمداً قد وترنا ، وقتل خيارنا ، وإنا رضينا أن نترك ربح أموالنا فيها استعداداً لحرب محمد وأصحابه ، وقد رضى بذلك كل من له فيها نصيب ، وكان ربحها نحواً من خمسين الف دينار ، فجمعوا لذلك الرجال فاجتمع من قريش ثلاثة الاف رجل ومعهم الأحابيش وهم حلفاؤهم من بنى المصطلق ، وبنى الهُون بن خزيمة ، ومعهم أبو عامر الراهب الأوسى ، وكان قد فارق المدينة كراهية لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومعه عدد ممن هم على شاكلته ، وخرج معهم جماعات من أعراب كنانة وتهامة وقال (صفوان بن أمية) لـ (أبى عزة) الشاعر الذى لا ينسى القارىء أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مَنَّ عليه ببدر ، وأطلقه من غير فداء : إنك رجل شاعر فأعنا بلسانك ، فقال : إنى عاهدت محمداً أن لا أعين عليه ، وأخاف إن وقعت فى يده مرة ثانية الا أنجو ، فلم يزل به صفوان حتى أطاعه ، وذهب يستنفر الناس لحرب المسلمين ودعا (جبير بن مطعم) غلاما حبشيا له اسمه (وحشى) وكان راميا قلما يخطىء فقال له : اخرج مع الناس ؛ فإن أنت قتلت (حمزة) بعمى (طعيمة) فأنت

حر ، ثم خرج الجيش ومعهم القيان[1] والدفوف والمعازف والخمور ، واصطحب الأشراف منهم نساءهم كيلا ينهزموا ، ولم يزالوا سائرين حتى نزلوا مقابل المدينة بـ (ذى الحليفة) أما رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ فكان قد بلغه الخبر من كتاب بعث به إليه عمه العباس بن عبد المطلب الذى لم يخرج مع المشركين فى هذه الحرب محتجا بما أصابه يوم بدر ، ولما وصلت الأخبار باقتراب المشركين جمع ـ عليه الصلاة والسلام ـ أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ وأخبرهم الخبر وقال : إن رأيتم أن تقيموا بالمدينة ، وتدعوهم حيث نزلوا ؛ فإن هم أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم ، فكان من رأيه شيوخ المهاجرين والأنصار ، ورأى ذلك أيضا عبد الله بن أبى ، أما الأحداث ـ وخصوصا من لم يشهد بدراً منهم ـ فأشاروا عليه بالخروج ، وكان من رأيهم (حمزة بن عبد المطلب) ومازال هؤلاء بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى تبع رأيهم ؛ لأنهم الأكثر عدداً والأقوون جلداً ، فصلى الجمعة بالناس فى يومها لعشر خلون من شوال ، وحضهم فى خطبتها على الثبات والصبر وقال لهم : (لكم النصر ما صبرتم ، ثم دخل حجرته ولبس عدته فظاهر[2] بين درعين[3] وتقلد السيف وألقى الترس وراء ظهره ولما رأى ذوو الرأى من الأنصار أن الأحداث استكرهوا الرسول على

---

(١) القيان جميع قينة وهى المراة المغنية .

(٢) اى لبس درعا فوق درع وهى ذات الفضول وفضة التى اصابها من بنى قينقاع .

(٣) لبس اثنين الثانى فوق الاول .

الخروج لاموهم ، وقالوا : ردوا الأمر لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فما أمر ائتمرنا ، فلما خرج ـ عليه الصلاة والسلام ـ قالوا : يارسول الله ، نتبع رأيك ، فقال : ما كان لنبي لبس سلاحه أن يضعه حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه ، ثم عقد الألوية[1] فأعطى لواء المهاجرين لمصعب بن عمير ولواء الخزرج للحباب بن المنذر ولواء الأوس لأسيد بن الحضير ، وخرج من المدينة بألف رجل فلما وصلوا رأس الثنية نظر ـ عليه الصلاة والسلام ـ كتيبة كبيرة فسأل عنها فقيل هؤلاء حلفاء عبد الله بن أبى من اليهود ، فقال : إنا لا نستعين بكافر على مشرك ، وأمر بردهم ؛ لأنه لا يأمن جانبهم من حيث لهم اليد الطولى فى الخيانة ، ثم استعرض الجيش ، فرد من استصغر وكان فيمن رد (رافع بن خديج) و(سمرة بن جندب) ثم أجاز (رافعا) لما قيل له : إنه رام فبكى سمرة ، وقال لزوج أمه : أجاز رسول الله رافعاً وردنى مع أنى أصرعه فبلغ رسول الله الخبر فأمرهما بالمصارعة فكان الغالب سمرة فأجازه ثم بات ـ عليه الصلاة والسلام ـ محله ليلة السبت ، واستعمل على حرس الجيش (محمد بن مسلمة) وعلى حرسه الخاص (ذكوان بن قيس) وفى السحر سار الجيش حتى إذا كان بالشوط وهو بستان بين أحد والمدينة رجع عبد الله بن أبى بثلاثمائة من أصحابه ، وقال : عصانى وأطاع الولدان ، فعلام نقتل انفسنا ، فتبعهم عبد الله بن عمرو والد جابر وقال ياقوم اذكركم الله أن

---

(١) جمع لواء .

تخذلوا قومكم ونبيكم قالوا : ﴿ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ ﴾ فقال لهم أبعدكم الله فسيغنى الله عنكم نبيه . ولما فعل ذلك عبد الله بن أبى همت طائفتان من المؤمنين أن تفشلا (بنو حارثة) من الخزرج و(بنو سلمة) من الأوس فعصمهما الله ، وقد افترق المسلمون فرقتين فيما يفعلون بالمتخذلين ؛ فقوم يقولون : نقاتلهم ، وقوم يقولون نتركهم فأنزل الله فى سورة النساء : ﴿ فَمَا لَكُمْ فِى الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم[1] بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴾[2] ثم سار الجيش حتى نزل الشعب من أحد[3] وجعل ظهره للجبل ووجهه للمدينة .

أما المشركون فنزلوا ببطن الوادى من قبل أحد وكان على ميمنتهم (خالد بن الوليد) وعلى الميسرة (عكرمة بن أبى جهل) وعلى المشاة (صفوان ابن أمية) فجعل - عليه الصلاة والسلام - (الزبير بن العوام) بإزاء خالد وجعل آخرين أمام الباقين ، واستحضر الرماة ، وكانوا خمسين رجلا يرأسهم (عبد الله بن جبير) الأنصارى فوقفهم خلف الجيش على ظهر الجبل ، وقال : لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا[4] عليهم فلا تبرحوا ، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا

---

(١) الركس رد الشىء مقلوبا وقلب أولة على آخره وأركسهم نكسهم وردهم فى كفرهم .

(٢) النساء - ٨٨ .

(٣) جبل شمال المدينة الشرقى .

(٤) غلبناهم .

تبرحوا ، ثم عدل ـ عليه الصلاة والسلام ـ الصفوف ، وخطب المسلمين ، وكان فيما قال .

« القى فى قلبى الروح الأمين أنه لن تموت نفس حتى تستوفى أقصى رزقها لا ينقص منه شىء وإن أبطأ عنها فاتقوا ربكم وأجملوا فى طلب الرزق ، لا يحملنكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية الله ، والمؤمن من المؤمن كالرأس من الجسد إذا اشتكى تداعى له سائر جسده » ثم ابتدأ القتال بالمبارزة فخرج رجل من صفوف المشركين فبرز له (الزبير) فقتله ، ثم حمل اللواء طلحة بن أبى طلحة فقتله (على) فحمل اللواء أخوه عثمان فقتله (حمزة) فحمله أخ لها اسمه أبوسعيد فرماه (سعد بن أبى وقاص) بسهم قضى عليه فتناوب اللواء بعده أربعة من أولاد طلحة بن أبى طلحة . وكلهم يقتلون ، وخرج من صفوف المشركين (عبد الرحمن بن أبى بكر) يطلب البراز فأراد أبوه أن يبرز له فقال له ـ عليه الصلاة والسلام : متعنا بنفسك يا أبا بكر ، ثم حملت خيالة المشركين على المسلمين ثلاث مرات ، وفى كلها ينضحهم المسلمون بالنبل ، فيتقهقرون ، ولما التقت الصفوف وحميت الحرب ، ابتدأ نساء المشركين يضربن بالدفوف وينشدن الأشعار تهييجا لعواطف الرجال ، وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ كلما سمع نشيد النساء يقول :

(اللهم بك أحول وبك أصول[1] وفيك أقاتل حسبى الله ونعم الوكيل).

---

(١) بمعنى أحول .

وفى هذه المعمعة[١] قتل (حمزة بن عبد المطلب) عم رسول الله سيد الشهداء غافله وحشى وهو يجول فى الصفوف وضربه بحربة لم تخطىء ثنايا بطنه .

(هذا) ولما قتل حملة اللواء من المشركين ولم يقدر أحد على الدنو منه ولوا الأدبار ونساؤهم يبكين ويولولن ، وتبعهم المسلمون يجمعون الغنائم والأسلاب ، فلما رأى ذلك الرماة الذين يحمون ظهور المسلمين فوق الجبل ، قالوا : ما لنا فى الوقوف من حاجة ، ونسوا أمر السيد الحكيم ـ صلى الله عليه وسلم ـ فذكرهم رئيسهم به ، فلم يلتفتوا ، وانطلقوا ينتهبون . أما رئيسهم فثبت ومعه قليل منهم فلما رأى (خالد ابن الوليد) أحد رؤساء المشركين ، خلو الجبل من الرماة انطلق ببعض الجيش فقتل من ثبت من الرماة ، وأتى المسلمين من ورائهم وهم مشتغلون بدنياهم ، فلما رأوا ذلك البلاء دهشوا وتركوا ما بأيديهم وانتقضت صفوفهم واختلطوا من غير شعور حتى صار يضرب بعضهم بعضاً ، ورفعت إحدى نساء المشركين اللواء فاجتمعوا حوله ، وكان من المشركين رجل يقال له ابن قمئة قتل (مصعب بن عمير) صاحب اللواء وأشاع أن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ قتل ، فدخل الفشل فى المسلمين حتى قال بعضهم : علام نقاتل إذا كان محمدٌ قد قتل ، فارجعوا إلى قومكم يؤمنوكم .

وقال جماعة : إذا كان محمد قد قتل فقاتلوا عن دينكم ،

---

(٢) القتال والجمع معامع أو الإكثار من قول ومع ذلك أو هى صوت الحريق فى القصب أو السير فى الحر والعمل فى عجل .

وكان من نتيجة هذا الفشل أن انهزم جماعة من المسلمين من بينهم (الوليد بن عقبة) و(خارجة بن زيد) و (رفاعة بن المعلى) و(عثمان بن عفان) وتوجهوا إلى المدينة ، ولكنهم استحيوا أن يدخلوها فرجعوا بعد ثلاث .

الثابتون يوم أحد

وثبت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومعه جماعة ، منهم . أبو طلحة الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ استمر بين يديه يمنع عنه بِجَحَفَتَه[1] ، وكان رامياً شديد الرمى فنثر كنانته بين يدى رسول الله وصار يقول : وجهى لوجهك فداء ، وكل من كان يمر ومعه كنانة يقول له ـ عليه الصلاة والسلام : انثرها لأبى طلحة ، وكان ينظر إلى القوم ليرى ماذا يفعلون ، فيقول له أبو طلحة : يانبى الله ، بأبى أنت وأمى ، لا تنظر يصيبك سهم من سهام القوم ، نحرى دون نحرك .

وممن ثبت (سعد بن أبى وقاص) فكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يقول له : إرم سعد فداك أبى وأمى .

ومنهم (سهل بن حنَيْف) وكان من مشاهير الرماة نضح عن رسول الله بالنبل حتى انفرج عنه الناس .

ومنهم أبو دُجَانَةَ سِمَاكُ بن خَرَشَة الأنصارى تترس على رسول الله فصار النبل يقع فى ظهره وهو منحن حتى كثر فيه .

---

(١) الحجفة الطرس وهو ما يضعه على ظهره من المزرد .

وكان يقاتل عن الرسول (زيادة بن الحارث) حتى أصابت الجراح مقاتله فأمر به فأدنى منه ، ووسده قدمه حتى مات .

وقد أصابه ـ عليه الصلاة والسلام ـ شدائد عظيمةٌ تحملها بما أعطاه الله من الثبات ، قد أقبل أبى بن خلف يريد قتله فأخذ ـ عليه الصلاة والسلام ـ الحربة ممن كانوا معه ، وقال : خلوا طريقه فلما قرب منه ضربه ضربة كانت سبب هلاكه وهو راجع ، ولم يقتُلْ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ غيره لا فى هذه الغزوة ولا فى غيرها (وكان) أبو عامر الراهب قد حفر حفراً وغطاها ليقع فيها المسلمون فوقع الرسول فى حفرة منها فأغمى عليه ، وخدشت ركبتاه فأخذ (علىّ) بيده ، ورفعه (طلحة بن عبيد الله) وهما ممن ثبت حتى استوى قائما ، فرماه عتبة بن أبى وقاص بحجر كسر رباعيته فتبعه (حاطب بن أبى بلتعة) فقتله وشج وجهه ـ عليه الصلاة والسلام ـ عبد الله بن شهاب الزهرى ، وجرحت وجنتاه بسبب دخول حَلْقتى المغفر[1] فيهما من ضربة ضربه بها ابن قمئة ـ غضب الله عليه ـ فجاء أبو عبيدة وعالج الحلقتين حتى نزعهما فكسرت فى ذلك ثنيتاه وقال حينئذ ـ عليه الصلاة والسلام : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم ، فأنزل الله فى سورة آل عمران : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾[2] وكان

---

(١) المغفر كمنبر زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوه او زرد يتدثر به المتسلح .

(٢) آل عمران ١٢٨ .

أول من عرف رسول الله بعد هذه الدهشة (كعب بن مالك الأنصارى) فنادى : يامعشر المسلمين ، أبشروا فأشار إليه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن اصمت ، ثم سار بين (سعد بن أبى وقاص) و (سعد بن أبى عبادة) يريد الشعب ، ومعه جمع منهم : أبو بكر وعمر وعلى وطلحة والزبير والحارث بن الصمة ، واقبل عليه إذ ذاك عثمان بن عبد الله بن المغيرة يقول : أين محمد ، لا نجوت إن نجا فعثر به فرسه ووقع فى حفرة فمشى إليه (الحارث بن الصمة) وقتله ، ولما وصل الشعب جاءت فاطمة فغسلت عنه الدم ، وكان علىٌّ يسكب الماء ، ثم اخذت قطعة من حصير فأحرقها ، ووضعتها على الجرح ، فاستمسك الدم ، ثم أراد ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن يعلو الصخرة التى فى الشعب ، فلم يمكنه القيام لكثرة ما نزل من دمه ، فحمله (طلحة بن عبيد الله) حتى أصعده فنظر إلى جماعة من المشركين على ظهر الجبل ، فقال : لا ينبغى لهم أن يعلونا ، اللهم لا قوة لنا إلا بك ، ثم أرسل إليهم عمر بن الخطاب فى جماعة فأنزلوهم .

وقد أصاب المسلمين الذين كانوا يحوطون رسول الله كثير من الجراحات ؛ لأن الشخص منهم كان يتلقى السهم خوفاً أن يصل للرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فوجد بطلحة نيف وسبعون جراحة وشلت يده ، وأصاب (كعب بن مالك) سبع عشرة جراحة .

أما القتلى فكانوا نيفاً وسبعين منهم ستة من المهاجرين ، والباقون من الأنصار .

ومن المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ، ومصعب بن عمير

ومن الأنصار حنظلة بن أبى عامر وعمرو بن الجموح وابنه خلاد بن عمرو وأخو زوجه والد جابر بن عبد الله ، فأتت زوج عمرو هند بنت حرام وحملتهم زوجها وابنها وأخاها على بعير ؛ لتدفنهم بالمدينة ، فنهى ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن الدفن خارج أحد فرجعوا .

وقتل سعد بن الربيع ، وأرسل ـ عليه الصلاة والسلام ـ من يأتيه بخبره فوجده بين القتلى وبه رمق ، فقيل له : إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يسأل عنك فقال لمبلغه قل لقومى : يقول لكم سعد بن الربيع : الله الله وما عاهدتم عليه رسوله ليلة العقبة ، فو الله مالكم عندى عذر .

وقتل (أنس بن النضر) عم أنس بن مالك ، فإنه لما سمع بقتل رسول الله ـ ﷺ ـ قال ياقوم : ما تصنعون بالبقاء بعده ، موتوا على ما مات عليه إخوانكم ، فلم يزل يقاتل حتى قتل ـ رضى الله عنه ـ ومثلت[1] قريش بقتلى أحد حتى إن هندا زوج أبى سفيان بقرت[2] بطن (حمزة) وأخذت كبده لتأكلها فلاكتها ثم أرسلتها ، وفعلوا قريبا من ذلك بإخوانه الشهداء .

ثم إن أبا سفيان صعد الجبل ، ونادى بأعلى صوته : نعمت فعال إن الحرب سجال يوم بيوم بدر وموعدكم بدر العام المقبل ، ثم قال : إنكم ستجدون فى قتلاكم مُثْلَة لم آمر بها ولم تسؤنى .

---

(١) التشنيع بهم .

(٢) شقت .

ثم إن المشركين رجعوا إلى مكة ولم يعرجوا على المدينة وهذا مما يدل على أن المسلمين لم ينهزموا فى ذلك اليوم ، وإلا لم يكن بد من تعقب المشركين لهم حتى يغيروا على مدينتهم .

ثم تفقد ـ عليه الصلاة والسلام ـ القتلى وحزن على عمه حمزة حزنا شديداً ، ودفن الشهداء كلهم بأحد ، كل شهيد بثوبه الذى قتل فيه ، وكان يدفن الرجلين والثلاثة فى لحد واحد لما كان عليه المسلمون من التعب ، فكان يشق عليهم أن يحفروا لكل شهيد حفرة .

ولما رجع المسلمون إلى المدينة سخر بهم اليهود والمنافقون وأظهروا ما فى قلوبهم من البغضاء وقالوا لإخوانهم : ﴿ لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا ﴾[1] .

وهذا الذى ابتلى به المسلمون درس مهم لهم يذكرهم بأمرين عظيمين تركهما المسلمون فأصيبوا :

أولهما : طاعة الرسول فى أمره فقد قال للرماة : لا تبرحوا من مكانكم إن نحن نصرنا أو قهرنا فعصوا أمره ونزلوا .

الثانى : أن تكون الأعمال كلها لله غير منظور فيها لهذه الدنيا التى كثيرا ما تكون سببا فى مصائب عظيمة وهؤلاء أرادوا عرض الدنيا والتهوا بالغنائم حتى عوقبوا ، وفى ذلك أنزل الله فى (سورة آل عمران) التى فصلت غزوة أحد :

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم[2] بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم

---

(١) آل عمران ١٥٦ .

(٢) تستأصلونهم قتلا

مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]
فسبب هذا الابتلاء : التنازع . فينبغى الاتفاق ، والفشل ، فينبغى الثبات . والعصيان ؛ فينبغى طاعة الرئيس . نسأل الله التوفيق .

(غزوة حمراء الأسد)

لما رجع ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى المدينة أصبح حذرا من رجوع المشركين إلى المدينة ليتمموا انتصارهم ؛ فنادى فى أصحابه بالخروج خلف العدو ، وأن لا يخرج إلا من كان معه بالأمس فاستجابوا لله وللرسول من بعد ما أصابهم القرح فضمدوا جراحاتهم ، وخرجوا ، واللواء معقود ، لم يحل فأعطاه على بن أبى طالب ، وولى على المدينة ابن أم مكتوم ، ثم سار الجيش حتى وصلوا حمراء الأسد[2] وقد كان ما ظنه الرسول حقا ؛ فإن المشركين تلاوموا على ترك المسلمين من غير شن الغارة على المدينة حتى يتم لهم النصر فأصروا على الرجوع ، ولكن لما بلغهم خروج الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أثرهم ظنوا أنه قد حضر معه من لم يحضر بالأمس ، وألقى الله الرعب فى قلوبهم فتمادوا فى سيرهم إلى مكة ، وظفر ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهم فى حمراء الأسد بأبى عزة الشاعر الذى منَّ عليه ببدر بعد أن تعهد أن

---

(١) آل عمران ١٥٢

(٢) موضع على ثمانية أميال من المدينة فى طريق مكة .

لا يكون على المسلمين ، فأمر بقتله ، فقال : يا محمد أقلنى وامنن على ودعنى لبناتى وأعطيك عهداً أن لا أعود لمثل ما فعلت فقال ـ عليه الصلاة والسلام : لا ، والله ، لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمداً مرتين (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) اضرب عنقه يازيد . فضرب عنقه ، وفى هذا تأديب عظيم من صاحب الشرع الشريف ؛ فإن الرجل الذى لا يحترز مما أصيب منه ليس بعاقل . فلابد من الحزم لإقامة دعائم الملك .

(حــوادث)

وفى هذه السنة[1] زوج عليه الصلاة والسلام بنته (أم كلثوم) لعثمان بن عفان بعد أن ماتت (رقية) عنده ؛ ولذلك كان يسمى ذا النورين .

وفيها : تزوج ـ عليه الصلاة والسلام ـ حفصة بنت عمر بن الخطاب ، وأمها أخت عثمان بن مظعون ، وكانت قبله تحت خنيس بن حذافة السهمى ـ رضى الله عنه ـ فتوفى عنها بجراحة أصابته ببدر .

وفيها : تزوج ـ عليه الصلاة والسلام ـ زينب بنت خزيمة الهلالية من بنى هلال بن عامر كانت تدعى فى الجاهلية أم المساكين لرأفتها وإحسانها إليهم ، وكانت قبله تحت (عبد الله بن جحش) فقتل عنها بأحد وهى أخت ميمونة بنت الحارث . لأمها .

---

(١) أى الثالثة .

وفيها : ولد الحسن بن على - رضى الله عنه .

وفيها : حرمت الخمر وكان تحريمها بالتدريج لما كان عليه العرب من المحبة الشديدة لها فيصعب إذاً تحريمها دفعة واحدة ، وكان ذلك التحريم تابعا لحوادث تُنفِّر عنها ؛ لأن المنكر إذا أسند تحريمه لحادثة أقر الجميع على تقبيحها كان ذلك أشد تأثيراً فى النفس ، فأول ما بين فيها قوله - تعالى - فى سورة البقرة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾[1] فمنفعة الميسر التصدق بربحه على الفقراء ، كما كانت عادة العرب ، ومنفعة الخمر تقوية الجسم[2] ولما شربها بعض المسلمين وخلط فى القراءة حرمت الصلاة على السكران فقال - تعالى - فى سورة النساء : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾[3] ولما حدث من شربها اعتداء بعض المسلمين على إخوانهم حرمت قطعياً بقوله - تعالى - فى سورة المائدة : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ[4] وَالأَزْلَامُ[5] رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ

---

(١) البقرة ٢١٩ .

(٢) فى هذا التعليل نظر ، فإنه لا يستقيم طبيا .

(٣) النساء٤٣ . وسببها ماقرأه بعض الخلفاء : «قل ياأيها الكافرون أعبد ما تعبدون » وترك حرف النفى .

(٤) هى حجارة تصب عليها دماء الذبح وتعبد .

(٥) هى القداح التى كانوا يستقسمون بها وفى قرن الخمر والميسر بالانصاب والازلام (جمع زلم) نهاية التنفير ولذلك قال - عليه الصلاة والسلام - شارب الخمر كعابد الوثن أ - هـ .

تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[1] وقد أجاب المسلمون على ذلك بقولهم : انتهينا ، فليجب المسلمون الآن .

(السنة الرابعة)

فى بدء السنة الرابعة بلغ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن طليحة وسلمة ابنى خويلد الأسديين يدعوان قومهما بنى أسد لحربه عليه الصلاة والسلام ، فدعا أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومى ، وعقد له لواء وقال له : سر حتى تنزل أرض بنى أسد بن خزيمة ؛ فأغر عليهم ، وأرسل معه رجالا فسار فى هلال المحرم حتى بلغ قطنا[2] فأغار عليهم فهربوا عن منازلهم ، ووجد أبو سلمة إبلاً وشاء فأخذها ، ولم يلق حربا ورجع بعد عشرة أيام من خروجه .

وفى بدئها أيضاً بلغه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن سفيان بن خالد بن نبيح الهذلى المقيم بعرنة[3] يجمع الجموع لحربه ؛ فأرسل له (عبد الله بن أنيس الجهنى) وحده ليقتله فاستأذن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يتقول حتى يتمكن ، فأذن له ، وقال : انتسب لخزاعة ، فخرج

---

(١) المائدة ٩٠ ـ ٩١ .

(٢) جبل لبنى أسد بناحية فيد شرقى المدينة .

(٣) موضع قريب من عرفات .

لخمس خلون من المحرم ، ولما وصل إليه قال له سفيان : ممن الرجل ؟ قال : من خزاعة سمعت بجمعك لمحمد ، فجئت لأكون معك ، فقال له : أجل ، إنى لفى الجمع له ، فمشى عبد الله معه وحدثه ، وسفيان يستحلى حديثه ، فلما انتهى إلى خبائه تفرق الناس عنه ، فجلس معه عبد الله حتى نام ، فقام وقتله ، ثم ارتحل حتى اتى المدينة ولم يلحقه الطلب وكفى الله المؤمنين القتال .

(سرية)

وفى صفر[1] أرسل ـ عليه الصلاة والسلام ـ عشرة رجال عيونا على قريش مع رهط عضل[2] والقارة[2] الذين جاءوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يطلبون من يفقههم فى الدين وأمر عليهم (عاصم بن ثابت الأنصارى) ـ رضى الله عنه ـ فخرجوا يسيرون الليل ويكمنون النهار حتى إذا كانوا بالرجيع[3] غدر بهم أولئك الرهط ، ودلوا عليهم هذيلا قوم سفيان بن خالد الهذلى الذى كان قتله عبد الله بن أنيس ، فنفروا إليهم فيما يقرب من مائتى رام ، واقتفوا آثارهم حتى قربوا منهم فلما أحس بهم رجال السرية لجأوا إلى جبل هناك ، فقال لهم الأعداء : انزلوا ، ولكم العهد لا نقتلكم فنزل إليهم ثلاثة اغتروا بعهدهم وقاتلهم الباقون ومعهم عاصم غير

---

(١) فى المنع من الصرف تكون للعلمية ووزن الفعل .

(٢) كل منهما اسم قبيلة .

(٣) ماء لبنى هذيل بين مكة وعسفان .

راضين بالنزول فى ذمة مشرك ، ولما رأى الثلاثة الذين سلموا عين الغدر امتنع أحدهم فقتلوه وأما الاثنان فباعوهما بمكة ممن كان له ثار عند المسلمين ، وهناك قتلا ، وقد قال احدهما - وهو (خبيب بن عدى) حين أرادوا قتله :

ولست ابالى حين اقْتَل مسلما
على اى جنب كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ
يبارك على أوصال شِلْوٍ ممزع

(سرية)

فى صفر وفد على رسول الله أبو عامر بن مالك مُلَاعِب الأسِنَّة وهو من رءوس بنى عامر فدعاه - عليه الصلاة والسلام - إلى الإسلام فلم يُسْلِم ولم يُبْعِد ؛ بل قال : إنى أرى أمرك هذا حسناً شريفا ولو بعثت معى رجالا من اصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك ، فقال - عليه الصلاة والسلام - إنى أخشى عليهم أهلَ نجد . فقال أبو عامر : أنا لهم جار ، فأرسل معه (المنذِرَ بن عمرو) فى سبعين من أصحابه كانوا يسمون (القراء) لكثرة ما كانوا يحفظون من القرآن ، فساروا حتى نزلوا بئر معونة[1] فبعثوا (حَرَامَ بنَ مِلْحَانَ) بكتاب إلى عامر بنِ الطفيل سيد بنى عامر فلما وصل إليه لم يلتفت إلى الكتاب بل

---

(١) شرقى المدينة بين ارض بنى عامر وحرة بنى سليم .

عدا على (حرام) فقتله ، ثم استصرخ على بقية البعثة أصحابه من بنى عامر فلم يرضَوْا أن يخفروا جوار ملاعب الأسنة فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سُلَيْم رِعْلً وذَكْوَان وعصية فأجابوه وذهبوا معه حتى إذا التقوا بالقراء أحاطوا بهم وقاتلوهم حتى قتلوهم عن آخرهم بعد دفاع شديد لم يجدهم نفعا . لقلة عددهم وكثرة عدوهم ، ولم ينج إلا (كعبُ بن زيد) وقع بين القتلى حتى ظن أنه منهم و(عمرو بن أمية) كان فى سَرْح القوم وأبلغ ـ عليه الصلاة والسلام ـ خبر القراء فخطب فى أصحابه وكان فيما قال :

إن إخوانكم قد لقوا المشركين وقتلوهم ، وإنهم قالوا : ربنا بلغ قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضينا عنه ورضى عنا .

وكان وصول خبر هذه السرية وسرية الرجيع فى يوم واحد فحزن عليهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ حُزْناً شديداً وأقام يدعو على الغادرين بهم شهراً فى الصلاة .

(غزوة بنى النضير)

يالله ما أسوأ عاقبة الطيش ؛ فقد تكون الأمة مرتاحة البال هادئة الخواطر حتى تقوم جماعة من رؤسائها بعمل غدر يظنون من ورائه النجاح فيجلب عليهم الشرور ويشتتهم من ديارهم ، وهذا ما حصل ليهود بنى النضير حلفاء الخزرج الذين كانوا يجاورون المدينة فقد كان بينهم وبين المسلمين عهود يأمن بها كل منهم الآخر ، ولكن بنى النضير لم يوفوا بهذه العهود حسدا منهم وبغياً فبينما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعض من أصحابه فى ديار بنى النضير إذ

ائتمر جماعة منهم على قتله بأن يأخذ أحد منهم صخرة ويلقيها عليه من علو ، فاطلع - عليه الصلاة والسلام - على قصدهم فرجع ، وتبعه اصحابه ، ثم ارسل لهم (محمد بن مسلمة) يقول لهم : اخرجوا من بلادى ، فقد هممتم بما هممتم من الغدر (إذ الحزم كل الحزم أن لا يتهاون الإنسان مع من عرف منه الغدر) فتهيأ القوم للرحيل ؛ فأرسل لهم إخوانهم المنافقون يقولون : لا تخرجوا من دياركم ونحن معكم : ﴿ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾[1] ولكن اليهود طمعوا بهذا الوعد ، وتأخروا عن الجلاء فأمر - عليه الصلاة والسلام - بالتهيؤ لقتالهم ، فلما اجتمع الناس خرج بهم واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، وأعطى رايته عليا ، أما بنو النضير فتحصنوا فى حصونهم ، وظنوا انها مانعتهم من الله فحاصرهم - عليه الصلاة والسلام - ست ليال ، ثم أمر بقطع نخيلهم ليكون أدعى إلى تسليمهم ، فقذف الله فى قلوبهم الرعب ، ولم يروا من عبد الله بن أبى مساعدة ؛ بل خذلهم كما خذل بنى قينقاع من قبلهم ، فسألوا رسول الله - ﷺ - أن يجليهم ، ويكف عن دمائهم ، وأن لهم ما حملت الإبل من أموالهم . إلا آلة الحرب ففعل ، وصار اليهود يخربون بيوتهم بأيديهم كيلا يسكنها المسلمون .

---

(١) الحشر - ١١ ، ١٢ .

ولما سار اليهود نزل بعضهم بخيبر ومنهم أكابرهم حيى بن أخطب ، وسلام بن أبى الحقيق ، ومنهم من سار إلى أذرعات بالشام وأسلم منهم اثنان يامين بن عمرو وأبو سعد بن وهب ولم يخمس رسول الله ما أخذ من بنى النضير[1] فإنه فىء لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب ، ومثل هذا يكون لمعدات الحرب وللرسول يطعم منه أهله ولذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كما قال تعالى - فى سورة كما قال تعالى فى سورة الحشر : ﴿ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ﴾[2] فاعطى - عليه الصلاة والسلام - من هذا الفىء فقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم وردوا لإخوانهم من الأنصار ما كانوا قد أخذوه منهم أيام هجرتهم ، وأخذ - عليه الصلاة والسلام - أرضا يزرعها ويدخر منها قوت أهله عاما .

(غـزوة ذات الرقاع)

وفى ربيع الآخر[3] بلغه - عليه الصلاة والسلام - أن قبائل من نجد يتهيئون لحربه ، وهم : بنو محارب وبنو ثعلبة فتجهز لهم ، وخرج فى سبعمائة مقاتل ، وولى على المدينة (عثمان بن عفان) ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا ديار القوم ، فلم يجدوا فيها أحداً غير نسوة فأخذهن ، فبلغ الخبر

---

(١) اى تخميس الغنيمة ، وإنما خمس تخميس الفىء .

(٢) الحشر - ٧ .

(٣) من السنة الرابعة .

رجالهم ، فخافوا وتفرقوا فى رءوس الجبال ثم اجتمع جمع منهم ، وجاءوا للحرب فتقارب الناس وأخاف بعضهم بعضا ، ولما حانت صلاة العصر وخاف ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن يغدر بهم الأعداء ، وهم يصلون ، صلى بالمسلمين (صلاة الخوف) فألقى الله الرعب فى قلوب الأعداء ، وتفرقت جموعهم خائفين منه ـ صلى الله عليه وسلم .

ومال الإمام البخارى إلى أن هذه الغزوة كانت فى السنة السابعة وأجمع أهل السير على خلافه .

(غزوة بدر الآخرة)

لما أهلّ شعبان[1] هذا العام كان موعد أبى سفيان ؛ فإنه بعد انقضاء غزوة أحد قال للمسلمين : موعدنا بدر العام المقبل فأجابه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى ذلك ، وكان بدر محل سوق تعقد كل عام للتجار فى شعبان ، يقيم التجار فيه ثمانيا ، فلما حل الأجل ، وقريش مجدبون ، لم يتمكن أبو سفيان من الإيفاء بوعده ، فأراد أن يخذل المسلمين عن الخروج كيلا يوسم بخلف الوعد فاستأجر نعيم بن مسعود الأشجعى ليأتى المدينة ويرجف بما جمعه أبو سفيان من الجموع العظيمة ، فقدم نعيم المدينة وقال للمسلمين : ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾[2] ولم يلتفت ـ عليه

---

(١) من السنة الرابعة .

(٢) آل عمران ـ ١٧٣ .

الصلاة والسلام ـ لهذا الإرجاف اتكالا على ربه ، بل خرج بألف وخمسمائة من أصحابه ، واستخلف على المدينة (عبد الله بن عبد الله بن أبى) ولم يزالوا سائرين حتى أتوا بدراً ، فلم يجدوا بها أحداً ، لأن أبا سفيان أشار على قريش بالخروج على نية الرجوع بعد مسير ليلة أو ليلتين ، ظانا أن إرجاف نعيم يفيد فيكون المخلف هم المسلمون فسار حتى أتى مجنة وهى سوق معروفة من ناحية مر الظهران . فقال لقومه : إن هذا عام جدب ، ولا يصلحنا إلا عام عشب ، فارجعوا ، أما المسلمون فأقاموا ببدر لا يشاركهم فى تجارته أحد : ﴿ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾[1] ولما سمع بذلك صفوان بن أمية قال لأبى سفيان : قد ، والله ، نهيتك أن تعد القوم ، وقد اجترءوا علينا ورأوا أنا أخلفناهم .

(حــوادث)

وفى هذا العام ولد الحسين بن على ـ رضى الله عنهما .

وفيه : توفيت زينب بنت خزيمة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ

وفيه توفى أبو سلمة رضى الله عنه ابن عمة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأخوه من الرضاعة ، وأول من هاجر إلى الحبشة .

---

(١) آل عمران ـ ١٧٤ .

وفيه تزوج ـ عليه الصلاة والسلام ـ أم سلمة هنداً زوج أبى سلمة بعد وفاته .

(السنة الخامسة غزوة دومة الجندل)

فى ربيع الأول من هذا العام بلغ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن جمعا من الأعراب بدومة الجندل[1] يظلمون من مر بهم ، وأنهم يريدون الدنو من المدينة ، فتجهز لغزوهم وخرج فى ألف من أصحابه بعد أن وَلَّى على المدينة (سباع بن عرفطة الغفارى) ولم يزل يسير الليل ويكمن النهار حتى قرب منهم فلما بلغهم الخبر تفرقوا ، فهجم المسلمون على ماشيتهم ورعائهم فأصيب من أصيب وهرب من هرب ثم نزل بساحتهم فلم يلق أحداً وبث السرايا فلم تجد منهم أحداً ، فرجع ـ عليه الصلاة والسلام ـ غانما وصالح وهو عائد عيينة بن حصن الفزارى ، وهو الذى كان يسميه ـ عليه الصلاة والسلام ـ الأحمق المطاع ، لأنه كان يتبعه ألف قناة واقطعه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أرضا يرعى فيها بهمه على بعد ستة وثلاثين ميلا من المدينة لأن أرضه كانت قد أجدبت .

انتهى الجزء الثانى

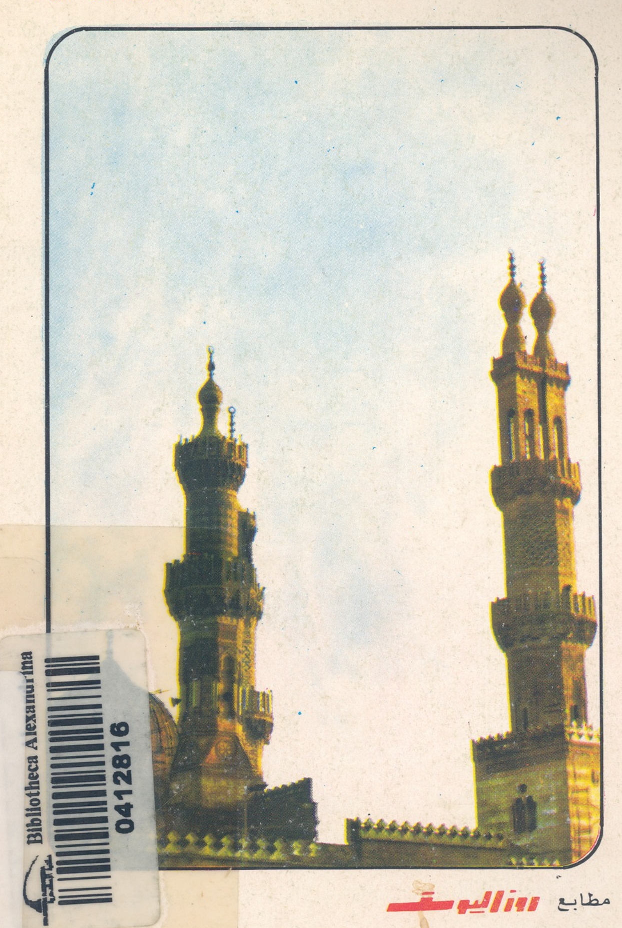
ويليه الجزء الثالث وأوله « غزوة بنى المصطلق »

---

(١) مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال وبينها وبين طيبة خمس عشرة ليلة .


مطابع روزاليوسف

AL AZHAR



مطابع روزاليوسف